



تیریز

Looloo

www.dvd4arab.com

Thérèse Desqueroix



شيرين

للغائب الفرنسي الكبير
فرنسوا مورياك
عقود الألفية الفرنسية
قريب الأستاذ

محمود عبد المنعم



Looloo

www.dvd4arab.com

ويي ، ارحم المجانين والمجنونات ،
ارحمهم يا خالق الكون ، هل يمكن
ان يوجد وحوش من بني البشر في
نظر الذي يعرف وحده لماذا وجدوا
وكيف تسبوا ، وكيف كان يمكن
خلقهم على غير ما هم عليه ؟

شارل بودلي



Looloo

www.livelaughandlove.com

مقدمة

سوف يقول الكثيرون ، يا تيريز ، ألا وجود لك . ولكنى امرتك
انك حقيقة ماثلة ، انا الذى قضيت الساعات الطويلة اتبصص
هليك ، وكثيرا ما استوقفتك فى الطريق ، وكثيرا ما تفحصت
وجهك .

وكم اذكر ، عندما كنت مراحقا ، انى لمحت وجهك الابيض
السمير ، فى احدى القاعات الخائفة التى تعقد فيها جلسات
الجنائيات وانت مستسلمة الى المحامين الذين كانوا اشفق عليك
من السيدات المتبرجات .

بعد ذلك برزت لعينى فى احد منتديات الريف ، ولك ملايح
امراة . . امرأة شابة عابسة شجرة بالرعاية التى تحيطك بها قريباتك
العجائز ويبدلها لك زوجك الساذج ، وهم يتساءلون ، ولكن ما
دهاها ؟ . السنا نحبوها بكل شيء ؟ .

من ذلك الحين كثيرا ما شاهدت يدك المفرطة فى الكبر نوعا ما
وهى تمتد الى جيبك العريض الجميل . وكم من مرة رايتك من
خلال الحواجز الحية التى تكون منها اسرة من الاسر ، وانت
تدورين وتلفين بخطوات الدفينة وتسددين الى نظراتك
المليئة بالصدق والحنن معا .

سوف يدهش الكثيرون لما اقدمت عليه من تصور هلاله
المخلوقة التى برزت جميع الآخرين قسوة وبشاعة . ولكن هل فى
استطاعتى ان احكى شيئا من الناس الذين تتفجر الفضيلة منهم
والذين يحملون قلوبهم على ايديهم ؟ . ان الذين يحملون قلوبهم
على ايديهم لا قصص اوم بيتما انا عليم بقصص القلوب الدفينة
التي تختلط بأجساد من الطين .

— كنت اود يا تيريز ، ان ينشئ بك الالم الى طريق الله . ولعللا

تمتعت أن تكوني حديرة باسم القديسة لوكوستا (١) ولكن لو حدث ذلك لشار الكثيرون محتجين على ما في هذا التشبيه من ألم وامتيان لقدسية الأسماء : على الرغم مما يسلمون به من ضعف نفوسنا المذنب التي يجوز لها أن تسقط مرة ثم تبرا من سقطتها .

على أي اذ ارتكك في مرض هذا الطريق يساورني الأمل في أنك لست الوحيدة فيه .

- ٦ -

فتح المحامي الباب . شعرت تيريز دي كويرو في هذا الموضع المأهول من معرات مراهي العدل ، بالضياع بفتح وجهها فاستنقذته بعنف كبير . لها تضحى التباطؤ ولكنها تتردد في الخروج . هناك رجل قد تدثر في ثيابه حتى عنقه . له يسطر بعينها عن شجرة الساج التي التمسق بجذعها . لقد علمت فيه أباه . صاح المحامي قائلاً :

- لا وجه لأقامة الدهوى ..
لم التفت إلى تيريز وقال :
- يمكنك الخروج . لا يوجد أحد .

هبطت تيريز الدرجات المعلقة . حقاً . يبدو الميدان الصغير مقفلاً . لم يقبلها أيوها بل ولم يدرك نحوها نظراً . وإنما راح يوجه الاستئذ إلى المحامي دورو الذي كان يبعث برودود في حسوت لغرض كان شخصاً يسرق السبع إلى حديثهما . وكانت كلمات الرجلين تصل إلى أدلى تيريز مبهمة غامضة .

قال المحامي :
- سأنتقم لهذا التخليع الرسمي بصلح وجود وجه لأقامة الدهوى .
فسأله الأب :

- ألم يعد هناك محل لأية مفاجأة أخرى ؟
ورد عليه المحامي
- كلا .. لقد طبخت الطبخة كما يقولون .
فقال الأب :

- بعد الشهادة التي أدلى بها زوج ابنتي ، أصبح الأمر مشتبهاً
فرد عليه المحامي :
- مشتبهاً .. مشتبهاً .. من يدري ؟
وقال الأب :

- ما دام هو نفسه باعترافه لم يكن يعد قطرات الدواء أبداً .
لغرض المحامي قائلاً :

(١) رومانية اشتهرت بجرائم القتل باسم استخدمته -
إجريبينا لغسل كلوديوس كما استخدمها ثيرون للقضاء على
بريتانيكوس . حكم عليها بالإعدام في سنة ٦٨ للميلاد (المترجم) .

« هل تعلم يا لاروك ؟ » كفى مثل هذه القضايا .. شهادة
 الجبني عليه ...
 وهنا ارتفع صوت تيريز تقول :
 « لم يكن هناك جبني عليه .. »
 أقبحها المحاسي قائلا :
 « سيدتي .. لقد أردت أن أقول أن أعماله هو الذي جنى
 عليه .. »

نظر الرجلان هنيئة إلى المرأة الشابة وقد وقفت بلا حراك
 ملتفة في معطفها وتاملا وجهها الشاب وقد خلا من التعبير ..
 سألت تيريز من العربة التي كان أبوها قد استوقفها فتتقن
 تخارج المدينة لكيلا يشعر وجودها انبعاث أحد ..

احترق الجميع الميدان ، وقد انصبت بمقاعدته التي يلهو
 المنظر أوراق الساج المتساقطة .. كان النهار لحسن الحظ قد قصير
 كثيرا وللوصول إلى طريق يودو يمكن سلوك أكثر الشوارع اقفا
 إلى البلدة .. سلوت تيريز بين الرجلين وقد ارتفعت هامتها فوق
 إقامتهما بينما راحا مرة أخرى في النقاش كان لا وجود لها معهما ..
 ولم يكن يضاهيهما إلا الفاصل الذي يبعدهما عن بعضهما بوجود
 هذه المرأة بينهما فأخذ كل منهما يدعها بكوعه .. عندئذ تطلعت
 عنهما قليلا وخلعت قفاها لتلتقط شيئا من الطحلب المسالق
 بالحائط الذي تسير إلى جواره .. ومن وقت آخر يمرق بالقرب
 منها عامل ممتط دراجته أو عربة صغيرة ، فكان الوحل المتطاير
 يلجئها إلى الاحتباء بالجدار .. ولكن عتمة المساء كانت تلثف بتيريز
 اقتحبتها عن أمين المارة ولا يعرف أحد .. ولم تكن الروائح النطقة
 من الأفران والمبينة من الضباب المنتشر هي مجرد مبيق المساء
 إلى بلدة صغيرة وإنما كانت تيريز تجد فيها غير الحياة وقد ودت
 إليها بعد لأي .. فكانت تلتقي حينها على أنفاس تلك الأرض
 الغائمة المشوشة البتلة .. وكانت تصاهد في ألا تصلى إلى
 حديث ذلك الرجل القصير ذي الساقين الضيلتين المقوستين
 الذي لم يلتفت مرة واحدة نحو أخته .. أنها لو سقطت متشبها

عليها على حافة هذا الطريق كما شعر بها أبوها ولما أحس بهما
 دورو بعد أن زالت عنهما الرهبة قرفعا عقيرهما بالحديث ..
 قال أحدهما :

« لقد كانت شهادة مسيودي كويرو جيدة .. نعم .. ولكن
 تلك التذكرة الطبية .. أنها في الواقع مزورة .. وكان الدكتور
 يبدأ هو الذي تقدم بالشكوى .. »
 أجابه الآخر :
 « لقد سحب هذا الطبيب شكواه .. »

« على كل حال ، الحجة التي قدمتها .. وهذا الشخص
 المجهول الذي أعطاهم التذكرة الطبية .. »
 حاولت تيريز عيشا أن تخفف من خطاها ليس لأن السسر
 انبعاث ، ولكن لتعاشي سماع تلك الكلمات التي صدموا بها رأسها
 طوال الأسابيع الماضية .. ولكن استعمال عليها عدم سماع صوت
 أبوها الذي كان يصرخ قائلا :
 « لطفا قلت لها : أينها البائسة ، أبعثي لك من شيء آخر .. »
 أبعثي لك من شيء آخر .. »

لقد قا لها ذلك مرات عديدة وكان من حقها أن يطعن إلى
 سلامة موقفه .. لما الذي يقاته بعد ذلك ؟ إن ما يسميه الشرف
 والاسم قد خرجا سليمين من المأساة .. وإلى أن يحسن موهبت
 الانتفاضات لجبني التسيوخ أن يذكر أحد تلك القصة بألها .. هذا
 ما كانت تفكر فيه تيريز وهي تود لو لم تلحق قط بالرجلين .. ولكن
 الرجلين ، وقد اخدتهما حدة المناقشة ، عوقفا في وسط الطريق
 واندفعا يتسوحان بأيديهما .. قال المحاسي :

« صدقتي يا لاروك ، واجه الأمر بجرأة ، بادن إلى الهجوم في
 عهد الأحاد القادمين من جريدة « الزارع » هل تفضل أن أتولى أنا
 هذه المهمة ؟ يلزمنا عنوان مثل « الأشاعة القبيحة » .. »
 ود عليه زميله قائلا :

« لا يا صديقي .. لا .. لا .. كيف يكون ذلك .. »

ان التحقيق قد داخلته { الكلفة } حتى اثم كم يستشيروا فيه واحدا من خبراء الخطوط ، ليس اماننا غير الضممت والكتمان .. هذا كل ما اعرفه . سوف اتاجز وسوف ابلل من مالي .. ولكن من اجل سمعة الاسرة يجيب اخفاء ذلك كله .. يجيب اخفائه ..

لم تسمح تيريز ماذا كان رد دورو على هذا الكلام لان المحامي كان قد اسرع الخطر . فمادت تستشيق الليل المطير مرة اخرى كما لو كانت السحابة يعاني الاختناق . وفيما حضر الى دعيتها وجه مجهول هو وجه جولي ميلاد .. يجدها لامها .. انه وجه مجهول .. انك لتبحث عنها لدى افراد عائلة لاروك او لدى اقرباء هائلة دي كويرو من رسم او صورة لهذه المرأة التي لا يعرف عنها اي انسان شيئا الا انها قد ذهبت في زوج من الايام . فقلت تيريز انها وبها كانت ستمحي هي الاخرى كما محيت جدتها وتلاتشي .. حتى يتعلق فيها بعد على ابنتها ماري الصغيرة ان يثر في احسدي المجموعات على صورة المرأة التي جاءت بها الى هذه الغدا .. ان ماري ، في هذه اللحظة ، تناج في احدي حجرات ارجلوز حيث تعمل تيريز في تلك الليلة متأخرة . وسوف تصفى هذه المرأة الشابة في التلاطم الى الطفلة في وقادها وسوف تتعنى عليها ولثم يشفيها كالماء تلك الحياة النائمة .

على حافة الطريق كانت تسير عربة مريحة الستر بينما تمكمن اشواء مصابيها على اوداف اليساودين النحايين الملقين بها .. والى الامام على جانبي الطريق كانت ترتفع حوائط مسوداء من اشجار القاية تنشر على اليمين وعلى اليسار متعاقبة القيم وتحت هذا القوس المقود كان الطريق الخفي يتحدو مشددا . وكانت السماد فوق الرؤوس لابسة برداء من فروع الشجر .

اخذ الحودي يسدد نظراته الى تيريز في اهتمام لهم . وحينما سالته هل سيصلهم في الموعد المناسب لركوب القطار الاخر من محطة نيزان طمأنها واضاف انه على كل حال يخصن الاسراع وعدم اضعاف الوقت .

قالت تيريز :

- هذه هي المرة الاخيرة التي اكلتك فيها هذه السمكة باجاردين قاجانها الحودي .
- ألم يعد لك يا سيدتي ما تغليته هنا ؟
هوت راسها بينما ظل الرجل يلتهمها بنظره . هل قدر لها ان تظل طوال حياتها هكذا نهبا للأنظار ؟
- اذن انت مبرورة !

وجه اليها ابوها هذا السؤال وقد بدا انه لثمة افي نهاية الامور الى وجودها بجوارده . فاسرعت تيريز تلقي نظرة لاحصة خالطة على هذا الوجه الذي شوهته الحرارة وقد تناثرت على اديمه شعيرات بيضاء يشبه اللون في اصفرار وجلت قسماته اشواء مصاييح المربة . ثم قالت في صوت خافت : لقد عدت كثيرا .. افي هتمة ثم كفت من الكلام . كما جتوي كلماتها : انه لا يصغي اليها ولا يراها . وما شانه بما تحسن به تيريز ان كل الذي يهمه هو الوصول الى احد مقاعد مجلس الشيوخ وقد قامت المرافيل في سبيله بسبب هذه الابنة .

- انهن كلهن هكذا .. اما مجنونات او معتوهات . انها لم تعد لحسن الحظ تحمل اسم لاروك . ان اسمها الان دي كويرو . لقد امكن تعاني محكمة الجنابات ، ولذلك فهو يتنفس السموم اوكيف السبيل الى منع الخصوم من فتح هذا الجرح ؟ من الفساد سوف يذهب الى مقابلة عمدة البلدة . حمدا لله فما زال مدني صحيفة « اللاند المحافظلة » في صفنا . اف لمسه القصص التي نشرها الغيتات الاغراو ' .. . فيض الاب على ذواع تيريز وقال : - هيا اصعدى سريعا . لقد حان الوقت .. .

هنا تكلم المحامي ، وبما بدافع الخبث ، وربما بدافع الرقبة في الا يترك تيريز تنصرف من غير ان يوجه اليها كلمة منه . فسألهما عما اذا كانت ستذهبن معك تلك الليلة الى لقاء مسيو برنارد دي كويرو قاجانته

- ان هذا امر مؤكد . طبعاً . ان زوجي ينتظرني .
ففر الى ذهن تيريز وهي تلقي بهذه الكلمات خائلا يقول :



ان تلك هي المرة الاولى حقاً - مثلاً - ان تاذرت مكتب قاضي التحقيق ، التي تتذكر فيها انها بعد بضعة ساعات سوف تحتاج حبة الحجرة حيث يرقص زوجها ومارال يعالني المرضي ، وان سلسلة لا نهاية لها من الايام والليالي سوف تمتد امامها ويكون عليها خلالها ان تعيش ملتصقة بهذا الرجل .

حقاً ، ان تيريز قد قطعت من قبل مرات عديدة هذه الرحلة نفسها التي تقوم بها في تلك الليلة - لقد كان ذلك اثناء المدة التي قضتها في منزل أبيها ، الواقع بالقرب من منافذ البلدة الصغيرة منذ بدء التحقيق معها ، ولكن رحلاتها السابقة كانت لفرع آخر - هو ابلاغ زوجها تطورات التحقيق - ولطالما اصفت قبل ان تركب العربة الى توجيهات دورو ونصائحه بشأن الاجابات التي ياتزم بها مسيو دي كويرو عندما يعيد المحقق سؤاله - ولم يكن يخالف تيريز في ذلك الوقت اي قلق او خشي في مواجهتها لهذا الرجل المريع - وكان اهتمامها وقتئذ منصرفاً كله ، لا الى ماحدث فعلاً ، ولكن الى ما يجب ان يقال وما لا يجب ان يذكر في التحقيق - لم يحدث قط ان كان الزوجان في حياتهما الزوجية على مثل هذا التقارب الذي ساد بينهما بسبب هذا الدافع .. ان جسدا واحدا كان يشدهما الى بعضهما ، هو جسد ابنتهما الصغيرة ماري .. كان جسد ههما منصرفاً الى تاليف القصة البسيطة المتناسكة التي تروي وتكفي لانشاء زواعة الدائونية - كانت تيريز في تلك الفترة تركب تلك العربة نفسها التي تركبها في تلك الليلة وتتحرق رغبة في الوصول الى نهاية تلك الرحلة الليلية التي تمنى الآن الا تروى لها نهاية - كم كانت تشوق ، في ذلك الوقت ، بمجرد صعودها الى العربة ، ان تروى نفسها بين جدران تلك العربة في ارجلوز - انها تستمد في ذهنها التوجيهات التي كان ينتظرها منها برنار دي كويرو .. كانت هذه التوجيهات تقول : عليه الا يخشى ان يؤكد في التحقيق واقعة احدث زوجها له في احدى الليالي ، عن تلك التذكرة الطيبة التي هزفتها من الضيدلية ، بناء على رجاء رجل مجهول توسل اليها بحجة سد رم استطفاعته التوجه بنفسه الى الصيدلي الذي يطالع

يديون سابقة لا يستطيع مسدداها الآن .. وكان المحامي دورو يرى الا يتعدى برنار في تطبيق هذا الدليل الى حد الزعم بأنه عاب وقتئذ على زوجته اقدامها على ارتكاب مثل هذه الحماقة .. تساءلت تيريز بعد ان تبتعد عنها هذا الكابوس : مما سوف يتكلم عنده هي ورنار ؟ تمثل في ذهنها هذا البيت الضائع الذي ينتظرها فيه زوجها - غرات في حياتها السرير التابع في وسط العرفة ذات البلاط المربع ، والمصباح الخفيف على المنضدة وسط اكوام الجرائد وزجاجات الدواء .. وتخلت كلاب الحراسة وقد ليها صوت العربة فأخلت تنبح ثم عادت الى الهدوء ، وبعد ذلك العمت الرقيب كذلك الليالي الطويلة التي طالما تظلمت اثناءها الى برنار وهو يعالني نوبات القىء الشديد ، حاولت تيريز ان تخفي النظر الاولي التي سوف تتبادلها معه بعد لحظة ، ثم في تلك الليلة ثم في اليوم التالي ثم في الايام المقبلة والاسبوع القادمة ، وهما معا في ذلك البيت في ارجلوز ، حيث لن تكون بهما حاجة الى تطبيق الرواية الزائفة للامساء التي عاشها معا .. ان يكون بينهما بعد الآن الا ما حدث حقيقة .. ما حدث حقيقة .. عند هذا الخاطر ارتعدت تيريز رعباً وقالت متلعثمة وهي توجد كلامها الى الاب العجوز وتدير وجهها ناحية المحامي :

- اني اتوى البقاء بضعة ايام عند مسيو دي كويرو وبعد ذلك اذا استمر التحسن في صحتي ، سوف اعود عند ابي ..
- اما هذا فلا ، لا ، لا ، يا صغيرتي .

واذا اخذ الحوذى جاردير يتحرك فوق مقعده قال مسيو لاروك في صوت اقل حدة :

- هل اجنت تماماً ؟ كيف تتركين زوجك في هذا الوقت ؟
يجب ان تكونا كاصهي اليد الواحدة - هل سمعين ؟ حتى الموت .
- انت على حق يا ابي .. اين كان عقلى ؟ اذن انت الذي سوف تجيء الى ارجلوز ؟ ..

- تلا بل سوف انتظركما يا تيريز في منزلي ايام الخميس حيث يعد السوق .. ستجئان كما كنتما تفعلان دائماً من قبل .

ثم تسأل الأب كيف تاه عن قهها ان اقل خروج على العادات
للمرعية معناه الموت لهما جميعا . وقال مؤكدا :

— اتفقنا على ذلك اذن ؟ واستطيع الاعتماد عليك فيه بالبره
يكفي ما سببته للعائلة من الالم .. !

— ستفعلين كل ما يطلب منك لزوجك عمله ، وليس لدى
ما اقوله اكثر من ذلك ..

بعد هذه الكلمات اندس الأب داخل العربة ،
وات تيريز يد المحامي تمتد نحوها باظفارها الجافة السوداء
وسمعتها يقول :

— كل ما كانت خاتمته خيرا فهو خير ..
وكان حقا يعني ما يقول اذ لو ان القضية سارت سيرها
العادي لما عادت طليسه منها اية فائدة بل للجات المسئلة الى
الاستعانة بالاستاذ بيركاف من محامي بورديو .. حقا ان كل شيء
انتهى على ما يرام ..

- ٢ -

ما اكثر ما كانت تيريز تحب هذه الرائحة العطرة المنبعثة من
الجلد المكسوة به ماعد المرات العتيقة . لم تحزن كثيرا لئلاها
سجنارها فهي تكره التدخين في الظلام . مصابيح الصرية تلقي
اشواها على المتحدرات المتناجبة وعلى عناقيد السرخس المتدلية
وعلى اقدام اشجار الصنوبر الشامخة .. اكوام الحصى المتناثرة
تعرق الظلال المسيرة للركب .. ومن وقت لآخر تمر عربة رقيقة
تفتحه بنالها تلقائيا ناحية اليمين من غير ان يتحرك سائقها التام
يدخلها . خيل لتيريز انها لن تصل ابدا الى ارجلوز وتمت لو لم
تصل اليها قط .. سارت العربة ساعة او اكثر من ساعة قبل ان
تصل الى محطة تزان ، ثم باتى بعد ذلك ههنا القطار الضئيل
الذى يتوقف طويلا عند كل محطة .. من بلدة سانت كلير حيث
يكون نزولها ، سوف يبقى امامها عشرة كيلو مترات اخرى حتى
تصل الى ارجلوز .. هذه الكيلومترات ستقطعها تيريز بالعربة
مرة اخرى لان الطريق لا يسمح بمرور السيارة فيه لئلا .. قد

يقطر القدر في اية مرحلة من هذه المراحل وينقلها . استسلمت
تيريز الى تخيلاتنا التي كانت تقشها في الليلة السابقة على الحكم
لو ان الاتهام ظل قائما ضدها .. انه التثبور يتوقع حدوث
زلزال ارضي عنيف .. خلعت قبعتها واسندت الى الجلد الذى
تفوح منه الرائحة راسها الصغير المتمايل واسلمت جسمها لهزات
الطريق الوعر .. لقد عاشت حتى ذلك المساء نهبها للهجمات .. خدود
وها هي الان بريشة قاحلة تقيس ما حل بها من الهالك .. خدود
كالحفريات ، وجنت وشسفاء غائرة ، ثم تلك الجبهة الرائعة . كل
ذلك يلم عن وجه امرأة محكوم عليها .. قسم .. محكوم عليها
بالوهم من ان الناس قد اسقطوا عنها التهمة ، محكوم عليها بالوحدة
الابدية .. جمالها ، وقد اعترف الجميع من قبل بسحره الذى
لا يقاوم ، هذا الجمال متوقر لنساء اخريات لها وجود تكشف عن
الالم الدفين وعن اتوماتات الجرح العميق ، ولكنهن يدين من
الحداد سترالما خفى واظهارا اقرب ما يطن .. في تلك العربة
المتمايلة فوق هذا الطريق الوعر الممتد وبسط اشجار الصنوبر
الكثيفة لضارب امرأة عارية الوجه وهى تلمسح في بطنها بسدها
اليمنى جبهتها المسعورة .. ما هي الكلمات التى سوف
يستنورها بها برقرار وقد كانت شهادة الكاذبة هي سبب جباها لا
لاشك انه لن يوجد اليها سؤالا ما في هذه الليلة .. ولكن ماذا
عن القدر الملق تيريز عيشها ثم عادت قفعتها . واخذت لتعرق
على هذه المرحلة الصاعدة من الطريق ، بينما سيار الجوازان
الوريت .. امل من الخير لها الا تفكر فيما سيكون ، فربما كان
الامر ابسط كثيرا مما يدور بخلفها .. لا تفكر فيما سيكون ..
وتستسلم الى النوم .. لتفب عن الوهم وعن العربة معا ..
ما هذا الرجل الجالس خلف النضضة الخضراء ؟ قاضي
التحقيق .. لا هو ايضا .. ؟ اليس يعلم ان الدوى قد سويت
كلا ، انه يترأسه من اليسار الى اليمين . لا ، لا يمكن اسدان
القرار بعدم وجود وجه لاقامة الدموى . هناك وقائع جديدة فلا
ماهرت .. وقائع جديدة ؟

ادارت تيريز راسها لى لارى هذا الخصم المفيد الاضطراب
المرتب على وجهها .. ها هو سألها :

م عودى الى ذكر يانك ، يا سيدتى ، ألم تنسى شيئا فى الصيف
الداخلى لتلك السترة القديمة ، السترة التى لا ترتديها الا فى
أكتوبر عندما تذهبين لصيد الحمام الترى ؟ ألم تنسى فيها شيئا ؟
ألم تخفى فيها شيئا ؟ ..

لا وسيلة للاحتجاج .. انها تحتق .. لم يحول القاصى نظره
عن القريسة ، وفى صمت رهيب وضع على المتقدمة امامه علية
صفيرة محتوما عليها بالشمع الاحمر .. مستطيع تبرز ان تميد
الكلمات المكتوبة على غلاف العلية .. تلك الكلمات التى اندفع
القاصى بردها فى صوت حاد كتيب : كلوروقوم ٣٠ جرام ،
أكونيتين ٢٠ حبة ، ديجيتالين محلول ٢٠ جرام ..

انقصر القاصى ضائبا .. بينما صرخت فرامل العربة وهى
تحتك بالمحلات .. استيقظت تيريز من غفوتها .. امتلا صدرها
التمدد بالفضاضة .. انه بلا شك سيل الضباب الأبيض المتساقط
.. لطالما حلمت .. وهى طفلة مراهقة .. أحلاما مزعجة كهذه
عندما كان يورفها الخوف من الغلطيات التى قد تضطرها الى
أعادة امتحان الشهادة الابتدائية .. انها فى تلك الليلة تندوق
نفس الراحة التى كانت تشمر بها عند أفاقها من كوابيسها فى
تلك الأيام البعيدة .. لم يكن يفد هذا الاحساس اللذيد الا بقية
من قلق مبيب عدم صدور قرار حفظ الدموى بصورة رسمية ..
ولسكنها تذكرت ما قيل لها : « تعلمين طبعنا ان القرار يجب ان
يبلغ الى الحامى أولا » ..

فعاد اليها شيء من الاطمئنان ..

ها هى الآن حرة طليقة .. ما الذى تمناء اكثر من ذلك ؟ ..
سيكون من هينات الأمور ان تحمل حباها مستطاعة مع برنار ..
فما عليها الا ان تكشف له عن فرارة نفسها والا تترك شيئا فى
الخفاء .. هذا هو الطريق السليم .. ليبرز الى وضوح النهار كل
ما كان مستورا .. وليكن ذلك منذ الليلة فورا .. صممت تيريز
على ذلك وغمرها التصميم بالسرور .. قبل وصولها الى أدرجلوز
سوف تجد من الوقت متسعاً لاعداد اعترافها .. كلمة « الاعتراف »
هذه هى التى كانت ترددها صدقتها التقيّة المتديعة .. ان دى

لأعتراف .. فى أيام المسكت التى تخللت إجازتهما السمسيلة ..
يا أختى آن ، أنتها البريئة العزيزة ، أى وضغ هو وشعلك أنت
فى هذه القصة كلها .. ما أكثر ما يجهل الناس الأطلان ما يحفظ
يهم وما يتخالطون فيه كل يوم وكل ليلة ! ما أكثر ما يغفلون عن
الأعشاب السامة التى تنبت تحت أقدامهم البريئة !

لقد كانت على حق ، بلا شك ، تلك الفتاة الصغيرة ، عندما
كانت تكرر القول تيريز - الطالبة الثانوية ذات التفكير العقل
والمرآح الساخر :

— ليس فى استطاعتك ان تتصورى هذا الاحساس بالخلاص
الذى يتبع الاعتراف والغفران ، عندما يصبح الضمير صافيا
يعود المرء من الى مواولة حياها فى صفحة جديدة ..
حفا ، لقد فسر شعور بالانفراج اللذيد بمجرد ان صممت فى
قراره نفسها على الاعتراف لزوجها بكل شيء ..

— ميموق برنار كل شيء .. سأقص عليه كل شيء ..
ما الذى سوف نقوله له ؟ بأى الاعترافات تبدأ ؟ هل تكفى
الكلمات للهدنة ذلك التسلسل اليهم من التسبؤات الجامعة
والرغبات المصرة والانذغافات التى لا يمكن توقعها ؟ كيف يتصرفه
أولئك الذين يتصرفون بجرائمهم ؟ ..

— اما أنا ، فليست أعرف لى جرائم ، اتنى لم أرد تلك الجريمة
التي الممولى بها .. لا أعرف ما الذى كنت أريده .. لم أعرف
أعدا الى أين تنجم تلك القوة المجتولة الهائجة التى بداخلنى والتبع
من حولي .. لم أعرف ما الذى كانت تهدمه هذه القوة فى طريقها
لقد كنت أنا نفسى فى رهب منها ..

المصباح البتولى المعروف بلقى قصوده على حائط محفلة
لوزان الطال بالخير وقد استقرت الى جواره عربة صفيرة ..
ما أسرع ما تلف الظلمة كل شيء على بعد خطوات حول المحفلة
من القطار الواقف هناك على الخط الفرعى ينهض فحيح كانه
فنجيح مكموم حزين .. اخذ جارودير حقيبة تيريز وعاد يحملها فى
وجهها مرة أخرى كمن يحاول اقتراضها بيمينه .. لعل لزوجته
لقد أوصته ؟

— انظر اليها رجيدا لترى كيف هى وكيف ينظر ..

والله اعلم
بما
في
الكتاب
والنبي

١٠ طلبت من الحوذاني أن يذهب ليحجز لها مكانا في القطر.

[illegible]

عندما عاد العوزي بالتذكرة قالت له ان يحتفظ لنفسه بياقي

التمت، مرّة أخرى، ليلقي نظرة على وجه ابنة سيده .

كائنات يهين لاروك وأن دي لاتراف تسعدان لساعة الاسطار هذه

العودة الى المدرسة في كات...
السفر القابل على شرائع من لحم الخنزير ثم...

كل منهما ذراعها حول خصر زميلتها . على هذا الطريق الذي تكسوه
اللبية القلقة السوداء والكأبة . لم يكن هذا الطريق ، في تلك

السنوات الخوالي ، الأساطع البيضاء في ضوء القمر . كانتا تغرقان في الضحك لمظهر دلالهما وقد استعطلت واختلطت وبلاشت . كان

حديثهما يدور بلا شك حول مدرستهما وحول زميلتهما في الدراسة - كانت احدهما تدافع عن الدين الذي تتعلم فيه بينما

تطري الاخرى مزايا ومحاسن مدرستها الثانوية .

به لفظت تيريز هذا الاسم بصوت مرتفع في الظلام . يجب ان

قادر على تمييز النواطق بعضها عن بعض وعلى وضع الواحدة منها

الثى تبرز ما بين المشاعر وتخلط الأحاسيس ببعضها البعض •

البحر المسجل إلى ادخاله في تلك المناطق المهمة التي ظننا عاشت
غيره. وتجرعت فيها كؤوس المذابح ولكن هذا ما يحسن

الوصول اليه . لن يكلفنا الأمر ، بعد قليل عندما ندخل الى تلك

يرتاد من مرحلة الى مرحلة الى ان يوقفها هو هن الامشوشمال قأ
الكلام ونقول

— كفى ! انى فومت كل شيء الآن . انهضى . لك القرآن .

وشملت عير دهور الكرمرنسيم من غير أن نلواها . هوبة الدرجة الأولى خالصة نعاما . علم أن النور المنعش من مصباحها الضئيل

فكان يرمى لاضاءة وجهها - لم تستطع القراءة - وای القصص لم
تكون فائده الى جانب قصة حياتها الزوجية ! انها وبها ماتت روح

العار أو من العلق أو من الندم أو من الإعياء ، ولكنها قطعاً ما كانت
لتموت من الملل وحده .

استراحت في جلستها في ركن المقعد واغلقت عينيها - هل
يمكن لامرأة لها كل هذا الذكاء وكل هذه الفطنة ان تسجّر من ان

تجعل هذه المسألة شيئاً مفهوماً واضحاً كما نعم - سيأخذها بوران
من يدها بعد انتهائها من الاعتراق ويوقفها قائلاً :

بعد اليوم - سنبقى معا في هذا البيت ، في أرجاءه ، ننتظر الموت

من غير ان نعرف بين الاوضاع اننى استقرت وقضى فيها الامر
انظر ظلماء .. اهدى انت الى المطبخ وامدى لى كوبا من عصير

سأكرعها حتي كمالتها ولو بدت لي فكرة - ليس يهمني ان

وذكرني مذاقها بتلك الكوب من الشيكولاته التي شريتها فيما مضى ذات يوم في الصباح . هل تذكرين يا عزيزتي نوبات القىء التي

عن ذلك السائل الاخضر الكريه ، لم تكن توبات الافماء التي

الكلية في جامعة القاهرة

الأحسان . كنت أرتجف . هل تذكرين ؟ وهذا الطيب القوي
الذكتور يداوى الذى كان يدهشه ان تنخفض درجة حرارته
وار يضطرب سقى الى ذلك الحد . . .

قالت تميز تخاطب نفسها
- يا لى . انه لم يفهم كلامى . يجب ان أعيد كل ما قلته .
من البداية . . .

أين تبدأ أماننا ؟ ان نصيبتنا من القدر ، اذا ما اردنا ان نؤلف
صقره . اننا لا نجد اننا نرى فى عالمنا من
الأمم . هذه كلها . كل من يصدر من هذه الأرض الى
البحر . هذه من يومنا هذا . هذه من هذا
ووصولنا هو قبلها ؟

أما الآن . . . لكى نستطيع ان نرى
هذه الأرض . هذا هو الذى نرى . هذا هو الذى نرى .
لا اله الا الله . هذا هو الذى نرى . هذا هو الذى نرى .
هناك المدرسات الى هؤلاء التلميذات مثلاً يحتذى هو تميز
لأروك . كن عالماً فى أصابع

تميز لا تطمع فى أية مكافأة أكثر من السعادة التى تنشأها
هذهما تحقق فى ذاتها الطراز السامى الانسانية . ان ضميرها هو
الضوء الوحيد الذى تستضيء به . وهو يضيئها . انها بعد قيمة
الشعر به من كبرياء لانسانها الى خلاصة الجنس البشرى عونا
تستند اليه حيراً مما يعلو الخوف من العقاب .

- هذا ما كانت تردده إحدى مدرساتها دائماً . ولقد أخذت
تميز تسائل نفسها .

- هل كنت سعيدة الى هذا الحد فعلاً ؟ أم هل كنت تميز
هادجة ؟ ان كل ما سبق زواجى يكتفى فى مخيلتى هذا
الطرح الذى . وهو بلاشع شعور . الى . الى .
انا . فثوبت . فثوبت . فثوبت . فثوبت . فثوبت .
هشت فدا قبل ان اصبر وحة وأما متى فى نظري الآن فردوس .
ولم كى أدرك هذا فى ذلك يوم . كيف كنت أستطيع . ذلك

ان ست التيمات السابقة علم حياى كتاب هي حياى العطفة ؟
الطهر ! . . لقد كنت طاهرة ! . . ملاك ! . . لقد كنت ملاكاً نعم !
ولكنى كنت ملاكاً مشحوناً بالشهوات . لقد تلمذت على الرغم مما
كانت تزعمه مدرساتى ، وهلمت غري أيضاً . كنت ألتذ بالآلام
الذى أحدهم الآخرين وأسعد بالآلام الذى تجدته لى صديقتى .
يا له من عذاب طاهر لم يخالطه ندم . ان أسباب سرورى البرى
كانت كلها وليدة هذه الآلام وهذه الأفراح .

ان اعز ما كانت تفرح له تميز كان عند حلول فصول الصيف
تذهب لمصاحبتها تحت أشجار البوط فى أرجلها . كانت بها
حاجة لأن تمول تلك الطفلة التى تتلقى تربيتها عند راهبات
الساكنات : « لى اكون فى مثل طورك هذا لا حاجة لى لارتداء
كل هذه الشرائط ولا لتكرار كل هذه الصلوات . . » ان ما يحيط
آن ذى لآتراف من براوة وطهر لى فى جوهرة الإجهاد ، ان
راهبات الساكنات كبر يقمن آلاف الحواجز بين الحقيقة والفتنة .
الصغيرات اللاتي ينشئن . ولكم كانت تميز تحترق هؤلاء الراهبات
تخططن بين الفسيلة والجهل . لعلها عايرت آن فى تلك الأيام
الصغيرة . فى أروك . . .

هذا هو الذى نرى . هذا هو الذى نرى .
تلك الأيام بعد هذه العادة . ذكرتها تميز وهى فى ذلك
القطار الصغير الذى بدأ أحراراً يتحرك بعد طول وقوف . اعترفت
فيها وبى نفسها ان تلك الأيام الحوالى هى التى يجب ان ترجع
اليها اذا ما أرادت ان تجل نظرنا للأمور . يا لها من حقيقة عجيبة
كيف يلخر فجر حياتنا الطاهر بالاعاصير الجارفة لى من هذه
معاداة لا تسمى . . . فثوبت . فثوبت . فثوبت . فثوبت .
أشارة تسمى . فثوبت . فثوبت . فثوبت . فثوبت .
بالكون من ربه حصره مدمر . فثوبت . فثوبت . فثوبت . فثوبت .
آخر ؟ . . لقد عاشت تميز من قبل لا تشغل ذهناً شئ . لم
يحدث فى أمة لحظة من لحظات حياتها ان اهتمت بأهوائها
المعكر والتفكير . . . لقد حلت حياتها من المتعذبات المعالجة
وسارت فى ريس سبيل المحذر . . .

ليثا في أول الأمر ، ثم سريعا بعد ذلك . ابن المرأة الضائعة في هذا المساء هي نفسها المطوقة المشرقة التي عاشت أمام الصيف الععدة في أرجلوز حيث تعود الليلة هاربة متحصة في الظلام .

بالشفقة ما بها من تعبي واضياع ! ما جدوى اصحاب الاسباب الضعيفة التي حركت ما كان كاملا من خلال زجاج الادارة لا ترى المرأة الشابة شيئا غير للنعكاس صورة وجهها الضعيف . هذبت سرعة سحر القطار الضئيل وأطلق من العاصفة سعة طويلا انه يقترب في حذر من إحدى المحطات مصيبا - بحركة ذراع أنسان ، نداءات متبادلة بلهجة الصداقة - صرحات حادة آتية من صفار الحناجر التي يعزونها . هذه بلدة أوزبست . لم نوه محطة واحدة ثم يصل بعدها القطار الى بلدة ساسر كلير الى أرجلوز مستظلل تيريز الى ركوب غربة صغيرة به أنجرة الأخير من أرجلوز . ما انصر ماضي لها من وقتلا .

- ٢٠ -

أرجلوز . . أنها حقا على حافة العالم القصوي . بقعة من تلك البقع التي ينمدر النهر الى ما وراءها . أنهم يطعمون عنها هناك اسم « الرب » - بضعة متناول ربيعها لا تكتسب لها ولا عمودية ولا جبانة . البيوت مبشرة حول حفل من الشوارع على بعد عشرة كيلو مترات من سانت كلير . هذه المسيرة يطعمها الماي في طريق وهو وسيل . طريق مليء بالحجر والشفوق . ومن الجانب الآخر لأرجلوز لا يوجد غير درب وعلى اتوه رسومه طوال لعاني كيلو مترا حتى يصل الى شاطئ المحيط . أراضي نور تكسوها البروك والمستنقعات وتتناثر فيها أشجار الصنوبر الهزيلة . انه منطقة اللاند التي تلتون فيها الأغنام في مهابة فصل الشتاء بلور الرمال . في هذا أربع العالني نشأت كبريات العائلات التي تقطن سانت كلير . في منتصف القرن الماضي شرع أجداد أولئك الذين يسكن الآن تلك القرية في استقلال مصارات الأشجار وأخشائها لوي.

الأمارة التي كانت سبب انه بناء في أرجلوز الى مسائن وديوار للبر عين

الثائرة بادئة الى النوم ، ترى في النقوش المحفورة على سبب الأبواب والوحد وعلى وحام المذاق اليابانية على الزم ، دور ، مه تتلانى عاما بعد عام حتى لتكاد استطع بعضها من قرط ها بها من جهد واعياء تلامس الأرض بانجبتها الكبرى .

لكن يبين من تلك البيوت المتعفة بيتان ما فلا الى اليوم سكنا لأصحابهما : عائلة لاروك وذي كويرو . لقد حرصت العائلتان على الاحتفاظ لداريهما في أرجلوز بما كانت عليه وقت اليهما عن الأجداد . جيروم لاروك ، عمدة بلدة ب . وعضو مجلسها البلدي كان يحفظ بالعرب من بواب البلدة بمعه أتريسى ولكنه لم يشأ ان يعير شيئا من معالم مزرعته في أرجلوز . لقد ورث تلك المزرعة عن زوجته التي ماتت في الفناء الواسع . وكانت تيريز ما تزال في المهد طفلة . لم يكن الأب يدهش ان لا يراه من ميل أبنته ميلا شديدا الى قضاء أجازاتها في تلك المزرعة . فمما ان يحل شهر يوليو من كل عام حتى تهرع تيريز الى أرجلوز تعيش فيها فترة الصيف في رعاية أخت كبرى لأبيها تدعى العمة كلارا ، عجوز عانس صماء ، تعيش في الأخرى هذه المرأة لاهيا . كما كانت تقول - لا ترى فيها شفاها تتحرك بالكلام ولا يسمع أحد غير صغير الرياح بين أشجار الصنوبر . على ان ما كان يستريح له صبيو لاروك من ذلك هو ان أرجلوز اذ تعد هذه أبنته لفترة من الزمن كان تقرب ما بين هذه الأمنة وبين يتحتم عليها ان تتوجه في يوم من الأيام تنعيدا وأن كان الأمان على ذلك لم يصبح رسميا بعد .

وبرادى كويرو هذا ورث من أبيه بيتا في أرجلوز محاورا لبيت عائلة لاروك . لم يكن أحد يراه في هذا البيت قبل افتتاح موسم الصيد ، ولم يكن يتخذ منه ميثا له الا في شهر أكتوبر حيث تصب بالعرب منه رجلا لاقتناص الحمام البري . أما في الشتاء فكان هذا الشاب العاقل يتابع دراسة الحقوق في باريس ، ولم يكن يقضى مع عائلته في الصيف الا اناما قائل فقد كان يفضق ذمعا بمكتور دي لاثراف زوج أمه الذي اقترنت به بعد قولها من انه ، وهو رجل خال

ياسرها من اسرارها وثقافته الماهرة . ان اخته لامة . ان سمارت
لقي نظره طيلة صغيرة لا تستحق منه اهتمام . هل كان حظ تيريز
من اهتمامه كحظ آن ؟ ان الناس جميعهم يعسرونها منذ الان
زوجين . اليس يبدو ان ما يملكه احدهما انما خلق ليندمج قيمياً
بملكه الآخر . وكان الشاب العاقل الزين يتفق في ذلك مع
الناس جميعاً وان لم يتوكل من الامور شيئاً للصدفة المجردة . انه
يحرص مفاجراً على اتباع خير ما في الحياة من نظام . ولعلنا نرى
هذا الشاب المائل الى السمنة :

— لن يصيب المرء الا احفظاه وما جئت بداه .
ان وقته مضمّن بالقسط بين العمل واللهو وان كان في ذلك
كله لا يتكلم عن طيب الطعام ولا عن جيد الشراب ولا عن لذة الصيد
بوجه خاص . انه يعمل ، كما يقول لامة : « على طول الحظ » لان
الواجب يقضي بان يكون الزوج اكثر علماً من زوجته . ألم تستهن
تيريز في كل ذلك بالذكاء والمصلحة ؟ ان لها بدها حاداً .
هذا لا شك فيه . ولكن برنار خير بالاسباب التي تخضع لها
المرأة . ولعلنا قالت له انه ان من الخيـ ان يمد قديمه في كل
المستور . بعد استطاع حذره لانه ان يساعد في يوم من الايام .
كان من المقرر ، عندما يلج من السادسة والعشرين ، بعد ان يروح
يرحلات ، يعد لها العدة منذ الآن ، الى ايطاليا واسبانيا والبلاد
الواطئة ، ان يتزوج من اثني فتيات اللاند وانجبهن عملاً ، ربما
لم تكن اكثرهن حسناً ولكن « المرء لا يتسامح عما اذا كانت جميلة
او جميلة ولكنه يخضع لسمرها »
دعيت تيريز للصورة الكاريكاتورية التي رسمتها في مخيلتها
لبرنار وقالت لنفسها :
— انه في الواقع اطرف من كثيرين من الشبان كان يمكن ان
الزوج بهم .

— ان نساء اللاند في الواقع يتفوقن كثيراً على وحالها اللان
يعيشون قيمياً بينهم لا يتخلطون بغيرهم . لقد استولت اللاند على
أفئدتهم وحينما اتحلوا بهم يعيشون فيها بالكارهم . وليس من
لهو يحو لهم الا ما يوجد به عليهم . أنهم يعسرون من الحياة

لارضهم . واحداً لها ان يعيدوا الشبه بينهم ومن مزادهم
وان يدعوا لهم العائنه وان يسموا عن سبوتهم الضيق
واسبوتهم الوحش في الحياء ألم يكن برنار يحكي صحت مظهره
القاسي نوعاً من طسه القلب ولين العريكة ؟ لقد حال المرء عن عمد
أشرف على مات

— لن يوح من بعده سيد نيل في هذا البلد
بعم . طسه القلب مع فار كيم من اعتدال الدهر وبلامة
الطوبى . انه لا تكلم قط عن شي ، لا يعرفه فهو يعلم قلد نفسه
وحدودها . لم يسي في راحته دميماً كل الدمامة هذا الفتى
الحبي المسرف الى مصادره الارانب البرية في الاحواض اكثر من
انصافه الى مصادره النساء احسان .

لم يكن هو الذي فخر الى محبة تيريز المسيلة العيـ المستندة
يرأسها الى زواج نافذة القطار . لا . لم يكن هو محتلب دواجنه
في الصباح لذكر على امره الواسل من ساد . الى ارطابو
ولا حواي . انه لامة . هل دخل الى دورته .
لا . تيريز العليل يعود الى صروفها . ولكن لامة الضميرة
كان وقد التهب وجهها ناراً وانتشرت العنقاس تلعب بين اشجار
الصنوبر وبدأت جمرات اللاند تنقد لاحت ذقنة السماء سماء
ارتمت . كان من الامور العالمة . هاهنا العمة كلارا
تقول ان

— ضمي مملكت قبل الدخول الى الصالون . انه في برودة
الثلاجة ولن تشربى قبل ان يجف هرقك يا صغيرتي .
— ان تحاول حيناً ان تصرح بعبارات النحية للمرأة السماء
وتبريز لعل لها :
لا تبحي صوتك يا عزيزتي ، انها تفهم كل مايقال لها من
الشعاع

ولكن ان تظل تحاول وهي تطع على قهها الصغير كلماها في
التواءات واشكال عجبية . العمة كلارا توسل الكلمات عروهاها
وتجيب بكل ما يتراءى لها الى ان ينتهي الامر بالصديقتين الى
الفراغ بعيداً لتضحكا ملء شدقهما

لم يعرف قلب تيريز من قبل هذوا مثل هذا الهدوء أو ما
أُكاتب نطقه هذوا ، وهو في حقيقته يعايش الحياة الكامنة في عمورها
أو لعله يأنها .

- ٤ -

يوم الزفاف الخائف في كنيسة سائب كلم الضيقة حيث تعلو
لرثرة السيدات عبي صوب الأرض أمهاتك ، وحيث يطغى عطورهن
هني عقيق الجوز . في ذلك اليوم أحسب تيريز بالصياح . لقد دخلت
بلا شعور في القفص ، تلك البقعة النائية . ولم يعق من عطفها إلا
على فرقة الباب الثقل وهو يعلى من خلفها . لم يبق شيء في
- تها ولكن أحسب أنها إن تستطع بعد اليوم الانفراد بسسها
الضائعة ، في مجاهل الأسيرة اكتنعبه - كاب عليها أن تحمي مواطنها
في صدرها جعله من هذه العواطف ما يشبه النار المدسسه تحت
الأعمشأب لتسعل شجرة من أشجار الصوبر ثم شجرة أخرى تم
تنتشر من مكان إلى آخر فتجدل الغابة إلى شعلات متفردة . ليس
بهي وجده هؤلاء القوم وجهه تستطع أن تريح عيستها بالنظر إليه
خير وجه أن ، لكن السرور الصبيبي الذي عمر هذه الشبانة
هراب من تيريز . أي سرور هذا ؟ هل تجهل أن أهدب مند تلك
ألييلة ستسفر قان عن بعضها بلا عودة ؟ ولي تقصر الفرقة سهلا
على المكان فقط ، خصوصاً وأن تيريز كانت في لحظة البألم لا سوف
يصيب جسدها البرى من تلوث لن يحجر آثاره أبداً . شعري أن
هي

تيريز وسط قطع المواثي قضى منها الوطر . تذكرت أنها -
يهو الكنيسة تميل على ذلك الوجه الصالح الصغير تعبه وقد
أرتفع بجوها ، لأحطب مجاة الفراغ الذي طالما حلفت من حوله
هوالم واسعة من الأم المهيم والسرور الساذج . اكتنعب في مدى
يضع ثواب المارق اللانهائي بين القوى العاصفة التي تسعل في عليها
وبين ذلك الوجه الحلو الملطح بالمساحق .

ظل القوم زمناً طويلاً في سائب كثير وما حاورها لا حديث لهم ؟
بعد ذلك اليوم ، إلا عن هذا الرفاق وعن الدليعة الصامدة التي

- ٢٤ -

أقيمت بمناسبةه وأكل فيها وشرب أكثر من مائة مراراً تحت
1
« بلا شك ليست جميلة كل الجمال ولكنها السحر بعينه » . لقد
يعد الجميع في ذلك اليوم دميعة بل وقبحة إلى أقصى حدود
الصبح .

لم يكن على ما عهدناه فيها من ملامح . . . لقد كانت شدة .
آخر ٢٢٠

هكذا فإن القوم وكل ما راوه منها هو الاختلاف في مظهرها
الذي يعود . وقد تسوا ذلك إلى ملابس الرقاف البيضاء والتي
حرارة الحر . لقد غاب صهم وجهها الحقيقي .

في مساء يوم الرفاق الذي اختلعت فيه المادرات الريلية
بالمزيد الصصرية أقبل الناس جهاعات ترهو وسطها ثياب الميات
بألوانها الفاتحة .

استطرت السيارة التي أسعها العروسان إلى الأبطاء من سرعتها
وسارت وسط انحنافات وإسهلات . انطلق بعد ذلك على الطريق
المكسو بزهور أشجار السنط وتهدما العربات اسميلة التي يقودها
أجلاف سكارى ، تذكرت تيريز الليلة التي تلت ذلك اليوم فتعجبت
قائله « لقد كان أمراً بشعاً . . » ثم استدركت : « لا . . ليس
بشعاً إلى هذا الحد . . » . تساءلت هل تألمت كثيراً في أثناء تلك
الرحلة التي قاما بها في منطقة البحيرات الإيطالية ؟ . كلا . . كلا .
لقد تملأت بلهيه ابتدعتها ، هي عدم البوح بأحاسيسها وتكتمسان
مشاعرها . ربما كان من السهل تمثيل الأحاسيس مع الخطيب
وخداعه بها . ولكن مع الزوج كان الأمر يختلف . أن الكلمات
الكاذبة تستطع كل إنسان أن يقولها ، ولكن أكاديب الحسد تتطلب
علماً ودراية . لن يستطيع إنسان أن يخادع في اظهار الرقة والسرور
والإرهاق الهنيء ويثب الجذاع . لقد عرفت تيريز كيف تصنع
جسدها لهذا الخداع وتذوق كل ما في هذا التظاهر والتتمثيل من
لذة مريوة . عالم محمول تصادم فيه الأحاسيسات ورحل بدفعها
إلى الدحول فيه دفعا . محلتها توحى لها بأنها قد تجد هي الأخرى
في هذا العالم نصيصاً من الهناء . ولكن أي هناء هذو ؟ .

المظهر الطمعي الذي تاهته معالته تحت مياه الطر المنهمر وقد وقف
المشاهد أمامه يتأمله ويتحيل ما يكون عليه في غسوة الشمس
الساخنة . . هكذا اكتشفت تيريز اللذة . .
بريار ! . . هذا الصبي ذو النظرة القاحلة ! . . انه لا يكف عن
الشكوى من اختلاف أرقام اللوحات من الأرقام الواردة في ذل
انحرف ! . . انه ينادي بالمرور كله لمكتبة من رؤيته . .
و
انه حين ينادي بـ « يا ليلتي »
المرء منظرها من خلف السياج وهي تجوز سميكة هائكة وسط
مدخلها
والآن
مرء

— هل تظن حقاً ان ذلك عمل حكيم ؟

فضحك وطمأنها . من أين له هذا العلم
يشكوك الجسد ؟ من أين جاءت تلك الحسرة . .
أساليب الرجل الشريف في الحب وبين أساليب الرجل المريض ؟
لم يكن في هذه الأمور يعرف التردد قط . لقد حدث في إحدى
الأمسيات وهما في باريس حيث توقفنا لفترة في طريق العودة ان
خرج محتجاً لثراً من أحد الملاحى الليلة وقد نال منه الاشتمرار
من الماطر التي تعرض فيه . قال :

— اهذا كل ما يعرض على الأجانب هنا ؟ . . يا للعار . . . انهم
يحكمون علينا بما يرويه من هذه الماطر الفاسحة . . .
وقد شعرت تيريز بالامحاط بغمرها لان هذا الرجل العمه
الفيور هو الذي سوف يقهرها بعد مضي ساعه او بعض ساعة على
معاناة ما يبرع في احتراعه من أساليب القتال .

— مسكين برنار . . . انه ليس اسوأ من غيره . . . ! وليسكن
الشهوة تحيل الشخص الذي بقربنا الى مسح لسن يشبه و . .
الانسان شبه وما من شيء اقدر على التعريق بيننا وبين شريكنا في
المتعة من الشهوة التي تظهر عليه . لظالم رأيت برنار وهو يقوس
في اللذة بينما كنت انا كجثة صامدة اتظاهر بالموت كما لو كنت حشياً

ار
حركة . . وكثيراً ما كان يحدث وهو على حافة نشوبه العاصوي ان
يكشف فجأة وحدته وانفرادة فتنتعج في الحال جهود التمشية
الكثبة . وعندما يكر الى عائداً يجدني كما لو كنت امراه بمنزلة البحر
من جوفه فطلت على شاطئه غاصة عني استنابا بارده .
رسالة واحده من آن . كم تكره هذه الصميرة الكتابة . ما من
مسطر في هذه الرسالة الا واعجت به تيريز . قلما تعرف الرسائل
من عواطفنا على حقيقتها ، قلما تصورها بنفس الاحساس الذي
تحدثه في عوسنا والذي يحمل على قراءتها في سرور . تشكو آن
من انها لم تعد تستطيع الذهاب الى فلانجيا مشدداً ان سكتها
ان ازيقندو . لقد نظرت على البعد الى مقعده الطويل الممدد
وسط بيانات الرخس . ان منظر المصدورين بماؤها رها .

كثيراً ما قرأت تيريز هذا الخطاب من غير ان تتوقع قدوم
قهره لذلك كانت دهشتها عظيمة ، في صبيحة اليوم الثاني لشبك
الامسية التي قطنها برنار فجأة في المهي البلي ، عندما تسرع
على خط آن فوق خطابات ثلاثة جاء بها البريد ، اشارات عديدة
الى « شيايك البريد » انتهت بهذه الرسائل الى باريس . ذلك
انهما تحطيا بمحطين مراحل عديدة من الرحلة لسرعة الواسول
« الى وكرهما » كما يقول برنار . لكهما في الحفلة فاجلا ابودة
لصيقهما بالقاء معا . لقد كان برنار . يدوي ملأ بعبء من سادته
وعن كلابه وهي الحانة التي يتعيل فيها شراب البسكون الزماني
يمذاقه لا لقاء في أي مكان آخر ثم وجود هذه المرأة ابى جواره
باردة ساخره لا تعصح قط عن معادها ولا تحب التحدث فيما
يهمه من الامور . اما تيريز فكانت تتحمل العودة ابى سابت كليم
لانها كانت كالمعبد التي ملت المعاء في السحن المؤقمه وراقت . يا
الى روية الجزيرة المتعزلة التي قدر لها ان تقضي فيها ما تبقى لها
من ايام الحياة . تمحست تيريز في صاية التواريخ المطبوعة عني
ايد الرسائل الثلاث ، وما كادت تصح اقد
رفرد مصحبه تصح كلامه

مفتوحة وسيارات الاوتوموبيل في ذلك المرقح حينئذ حذرت
ضحيحة بصم الاذان . توقف عن خلافه فثبته ليغوا خطايها جاءه من
أهله . ما زالت تميز تذكر حتى الآن صغريته المصنوعة من التسيج
الرخو وذراعيه العاريين المتعجنين بالفضلات وحلده جسيمه
استباح . تذكرت فجأة اللون الاحمر القاني النضر على عتفه
وفي وجهه . لقد كانت الحرارة في صباحة ذلك اليوم من ايام يولية
تلوح منها رائحة الكبريت ، وكان صوم الشمسى الملهى بالدخان
خارج اشربة يصفى على واحبائه المباني الحاملة مريدا من القدرة
والوسع . اقترب من تيريز وهو بصرخ :

« اما هذا فشيء فظيع ... تصورى ... صديقتك آن ...
انها تلمد الحدود ... من يقول ان اختي الصغيرة ...
واد نظرت اليه تيريز مسهمة قال :

« هن تصدقن انها مفرمة بابن ازيفيدو لا نعم انها تحبه ...
هذا المصدور الذي من اجله احريت التوسيمات في قلبيجا ...
نعم ، نعم ... ان الامر يبدو جد خطير ... تقول انها تنتظر الى
ان تبلغ سن الارشد ... خطاب امي يقول انها جنت جتوقا تاما ...
ليت عائلة ديجهيم لا تعلم شيئا من ذلك ، والا فقد يحجم انهم
الاب ... هم يطلبه ... هل وصلتكم رسائل منها ؟ ستعلم
... هيا اسرعى الى قضاها كلها ... »

« ... على انى لن استطيع اطلاع
عنها »

من هذا الرد القاطع عرف برنار في زوجته طبعها وطبيعتها .
انها تشجع الاضطراب في كل شيء . انما المهم في نظره هو ان تعيد
العمة الصغيرة الى رشدها وعقلها .

« ان الاثرة توشك عليك في ذل ... ان ...
حى ، حى ... انهم يحضرون عورت على اخر ...
تجدهم حيا ... »

انفتحت على ان تقوم تيريز لتسردى ملابسها بينما يدهيب برنار

« ... ولحجز مقعدين لهما في قطار الجنوب السريع . قال
...
« ما الذى تنتظرينه لتقرئى خطابات الصغيرة ؟
« ان تقادر هذا المكان »

انصى وقت طويل بعد ان اطلق برنار باب الشقة . تيريز
مستلقية في رعدتها تلحس السجائر وتطر ساهمة الى الحشوف
الذهبية الكبيرة التى علاها التراب على حائط اشربة المواجهة .
قضت العلاف الاول . لا ، لا ...
المرقة ، لا يمكن ان تكون تلك ...
« ذهنية محدودة » هى التى كنت هذه الكلمات اسارية ...
لا يمكن ان يسع من ذلك القصب الجفاف فقد كان قصب آن جاما ...

الاناشيد ، هذه الالهة الطويلة السعيدة المسموعة من المرأة التى
اكملت لذتها ، من الجسم الذى يدوب سمادة لدى الشمس الاولى .
« ... عندما قابلته لم يكن في استطاعتي ان اصور انه هو .
لقد كان ياتو بالحري مع الكلب وهو يطق الصرخات ، كيف كان
يوسمى ان اظنه هذا الربض المصاب اصابة جسيمة ... انه ليس
... وانما هى احتياطات يتحدونها بسبب الكوارث التى حلت
... هو ليس بالهريل وانما هو نحيف فقط ... ثم هو مموذ
... انى تفررت كثيرا ولى تعرفستى الآن ...
تصورى ... انى اذهب بنفسي لاحضار المسترة له عندما تهلط
الحرارة ويبرد الجو ... »

لو ...
على السرير ليست هى زوجته وانما هى انسان لا يعرفه ، محبوبة
مرقة عنه لا اسم لها . اقلت سيسجارتها ومزقت الظرف الثانى .
« ... سأتردع بالصبر طوال المدة اللازمة ... مقاومة
تخيفنى ... وان حبيبي لا يعزى شيئا لي ... »

في مائت كثر ولكن أوجاود ليست بعدة . لا يصعب علينا اللقاء جان وأنا . هل تذكرين برج الحمام البري ؟ لقد اختبرت أنت يا عزيزتي من قبل المكان الذي قدر لي أن أعرف فيه اللذة ... لا ... لا تظلي بنا الطود ، أنا لا أرتكب لها ... هو رفق كل ... شايما من هذا الطراز ... لقد دوس طويلا ...

توفرت لثبات . لهذا لم أفكر أبدا في مبادئه بالهكم عنه من أجل ذلك . كم أتمنى أن أكون على مثل ما أنت عليه من علم ودراية . وقد أصبح بكن شيء لاكون مثلك . عزيزتي ، ما هي تلك السعادة التي توفرت لك أنت وبم أعرفها أنا بعد والي تحمل من مجرد القرب شيئا ليلدا كل هذه اللذة ؟ عندما أكون الي جواره ، في برج الحمام الذي كنت تصرين علي أن ناتي إليه بفسلانا ، أشعر بالسعادة تملاني كبد شيء استطع لمسه . أقول لنفسي أن هناك هي الرغيم من ذلك هذه بعد حدودا من هذا الهناء . وبمسد أن يفارقني جان ، وقد شحب وجهه ، تطل ذكرى مدامنا مائلة في قلبي ، وأحس في أسطد ما سوف يأتي به اللذ . أنا أصم أفني من التصرفات والسبب الي بواحتي بها أعلى ، أولسلك انوم الذي لا يعموب شيئا ... الذين لم يتدقروا حيلولة ذلك . عزيزتي ، أعزني لي ، أبي أحدثك عن هذه السعادة كما لو كنت تحولسها أنت أيضا . علي أني لست سوى مبتدئه بالنسبة اليك . لذلك أراي عني بعين علي أنك ستمعين الي حائنا ضد أو ... الذين يريدون بنا شرا ...

فصت تيرير العلاف الثالث . لم تجد غير كلمات طفله كتبت علي عجل

— أحصري يا ، برتي . لقد فرقوا بيننا . أنهم يراقبونني من كذب مراقبة شد .

لهم أبي أقل حكمت . سأشرح لك كل شيء عند قدومك . اته ليس مرضا . أنا سعيدة وأنا لم . أنا سعيدة لأنني أنا لم من أجله . أنا أحب هذا العالم وأرى فيه دلالة علي الحب الذي نكه له .

بم تذهب تيرير في القراءة الي بعد من ذلك . لاحظت وهي

تعبد الورقات الي اغلقها . ان ذلك احداهما صورة فوتوغرافية لم يبه الي وجودها من قبل . اختريت من السادة وتطلعت ، خرج الي هذا الوجه . شاب اكتسب رأسه بشعره كثيف قندا . الحجم . عرفت تيرير في الصورة المكان الذي التقطت . ان ذلك النبل الذي طالما وقف عليه جان أربعيدو مستحيا كانه لعشال داود وفي النعلف ارضي جرداء ترعى منها بعض العجاج . انه يحمل مسترقة علي ذراعه وقد كشف قميصه قليلا من صدره لنسلي . كما تقول أن — لا أحر التلمعات الماحة — . رفعت تيرير عينها وبظرت مشدوحة الي وجهها في المرأة . شمرت بحاجة الي مصص الجهد لتعك ما بين أسنانها المتقضة ولتنتليج ريقها . دلكت صدغها وجهها بماء الكواويا . قالت تخاطب نفسها

— أنها تدوق هذه السعادة ... كيف بي أنا ... لا أنا . لم لا ادوقها أنا أيضا

— علي المنضدة عازا بدوس يلعب بالقرب منها .

كررت تيرير هذه الكلمات وهي معدنها داخل هذا العطار المترنح وقد اندفع مسرعا فوق منحدر من المصص . لم قالت لنفسها « منذ ستين مفتا ، في فرقه ذلك المديق ، استبكت ...

انقعه بمنف ، كلا ، ولكن في هدوء كما لو كان ذلك عملا عاديا . ثم وشددت فومها سسل الماء الطازج .

عندما عاد برنار رآها هادئة كأنها شخص اطلال التكبير وقرن لنفسه السلوك الذي يسلكه . عاب عليها كثرة التدخين . أنها بذلك تسمم نفسها . أن رأيها هو الا تعلق أهمية قصوى علي مثل تلك النزوات من فتاة صغيرة . تصهدت بان تنير لها الامور ... وحبو برنار بالكلمات الملمنة التي قالتها له تيرير . كان سروره بالغا لشعوره بوجود تذاكر العودة في جيبه كما كان ارتياحه ظاهرا لأن اهله قد بدأوا يلتئمسون اللون من ن

أيا كان الشئ ، على تناول آخر غذاء لهما في هذه الرحلة في أحد مطاعم العانة . ظل يشرثر وهما في السبارة إلى أن كرها لنتقلهما إلى المطعم . تكلم عن مشروعاته في افتتاح موسم الصيد . قال أنه يتوق إلى تجربة ذلك الكلب الذي يدر به باليون من أجله وأن أمه كتبت له تقول أن قرسه لم يعد مريح بعد أن كوى مكان الداء فيها بالنار . عدد الإكاليين مازال قليلا في ذلك المطعم الذي بهرهما بكثرة ما فيه من خدم . ظلت تيريز تذكر تلك الرائحة التي عمت المكان ، رائحة زهور « العطر شاه » تحاطها رائحة الطبخ . لم يكن يرتاز بعد ذاق من قبل بيك الراين ، فاستاء لأن القوم لا يقدمونه كل يوم . حجب يرتاز بجسمه الضخم عن تيريز رؤية قاعة المطعم ولكنها من خلف زجاج النوافذ شاهدت السيارات تمرق وتعب فلا تسمع لها صوتا . أنها تعرف أن ذلك الشيء الناضر المحرك بالعرب من الذي يرتاز هو عصفية الصيدي . ما أن شرب يرتاز الجعة الأولى حتى التهب وجهه بحمرة . ياله من شاب ريمى قوى جميل لا عيب فيه إلا أفعاره طوال هذه الأسابيع إلى الغصاء الواسع يتفق فيه ما تجمع في حشمه من طاقات يومية ولدها الطعام والشراب . أنها لا تعرفه ولكن ما أشد رغبتها في أن يبقى بمفردها لتفكر فيما يشتهيها من ألم ، ولتتحسس موضع هذا الألم من نفسها . أن كل ما تشتهي هو ألا يكون معها في ذلك المكان ، والأ

... بل ... ورة ... الملامح الكادية على وجهها وأطرافها لظرة ... في صينها ، وأن تستطيع تركيز ذهنها حرا طليقا على هذا اليأس الخفى الذي يملأ قلبها . تذكرت آن فقالت لنفسها : أنها

... إلى جوارك حتى النهاية ، أنها تختار الهواية التي تفصل بينك وبين الآخرين وتنضم في هؤلاء الآخرين ، أنها تنتقل من هذا الكوكب إلى كوكب آخر ... لا ... هل انتقل فقط كائن حي من كوكب آخر ؟ لقد أتتحت أن دائما إلى زمرة البسطة من بشي البشر . لم تكن إلا شحنا طالما نظرت تيريز إليها في الأيام الحوالي ، أيام أحزانهما المنزلة ، وهي تنكئ رأسها على ركنيتها ثائمة . لا . أنها لم تعرف أبدا أن دى لاتراف الحقيقة ، لم تعرف

تلك التي تسمى اليوم إلى لقاء حان أزيغيدو في بروج الحمام المهجور بين سانب كلير وأرجلوق .

قال لها يرتاز :
— ماذا بك ؟ ألا تأكلين ؟ ... يجب ألا تتركي بهم شيئا من الطعام ، أنها حاضرة نظرا لما سقاؤونه فيه من انما غريبة ... هل هي حرارة الجو ؟ أرحو ألا يصيبك الأغماء ، ما لم يكن ذلك من أثر الوحام ... الذي بدأ ...

أبتسمت تيريز . أبتسم فعها وحده . قالت أنها تفكر في تلك ... إلى اندمعت فيها آن . كانت بها حاجة لأن تتكلم عن آن . وبينما يرتاز يعلن أطمئنته الثام مادامت قد تكلمت هي بلامر سألته السبب الذي من أحله يبدى أهله معارضهم في ... على يرتاز أنها أنها تهرأ منه ورجاها ألا تستمرسل في آرائها المناقصة ، قال :

— أولا أنت تعلمين جيدا أن هؤلاء القوم هم من اليهود . لقد عرفت أمي الجند أزيغيدو الذي رفض أن يتلقى سر العميد ... أن أعرق الاسماء في مدينته بورتو وكلها

— لقد كان آل أزيغيدو في أعلى مراتب المجتمع في الوقت الذي كان فيه أحدادنا ، هؤلاء الرعاة الرؤساء ، يرمدون من الحمى على شواطئ مسعفاهم .

ر ، لا تكادى لحد الرعة في المناقشة . أن أيبود ... ثم أن هذه العانة ليس من أفرادها إلا كس مريض . كلهم مصدورين حتى سباع عظامهم . لكن يعلم ذلك .

اشعلت تيريز سيجارة بحركة طالما أشتا لها يرتاز . قالت :
— هل لك أن تذكر لي ثم مات جندك وأبو جندك لأم تمن أنت؟ عند زواجك متى ، نالتحري عن المرض الذي ماتت به أمي ... هل تعلم أنت ... أن ...

السبل والهرى لتسميم العالم بأسره ؟
— أنك تقالين كثيرا يا تيريز . اسمحني لي أن أقول . ولو أنني ضييل المزاج والمعاخر : ليس لك أن تسمى أمجاد العانة !

انتشع صدر برنار ضيقا وهو يريد أن يلدو متعاليا امام تيريز من غير أن يشعر يديه السخريه . ولكنها عادت تقول في اصرار :
 « أن عائلا تصحكي بما تدي من حذر مستقيم . هذا
 العرب من العاهات الظاهر لا يعادله إلا النعاس عن عاهات أخرى
 أكثر من هذه عددا ولكنها خفية . . . أنت نفسك ، أنك تستعمل
 عبارة الأمراض اسرية . . . اليس . . . »
 احطرت الأمراض على الحسن هي بطبيعة نعيمها ادواء سرية .
 هذه خفية لا تشبه اليها عائلتنا أبدا بينما هي تتفاهم جيدا فيما
 بينها على دفن كل ما على بها من أدران وأقدار . لولا الخدم لما
 عرف قط شيء من ذلك . هناك لحسن الحظ الخدم . . . !
 « إن أود عليك . عندما تدفعين هكذا ، يكون من الأفضل
 الانتظار إلى أن تسبى الثورة . أن ثورتك متى لا تحدث إلا ضررا
 لك سبيل . أما هناك في المنزل فالامر على خلاف
 . نحن لا نهاور في »

العائلة . . . ! تركت تيريز سيجارتها تنطفئ وقد تسمرت
 معها : أنها ترى في مخيلتها هذا القمص الحائط بسياج لا عدد له
 من الإصباح ، هذا القمص المبطل بالأذان والمبون والذي قضى عليها
 أن تعيش في داخله جامدة لا تتحرك وقد جلست الفرفصة وأضعة
 ذكها بين ركبتها ضامة ساقيها تدراعيها في انتظار الموت البطيء .
 قال لها برنار .

« هيا يا تيريز ، بددي هذا العيوس . لو نظرت لوجهك الآن
 ابتسمت وأعادت إلى وجهها قتامة الأول وقالت :
 « أنى كنت أبع . . . بالك من ساذج يا عزيزي . . .
 ولكنها حينما جلست معه في السيارة لتعود بهما إلى العندق
 واقترب منها دفعته يدها وأبعدته عنها . »

في تلك الليلة الأخيرة التي سقت عودتهما إلى البلدة ذهبيا
 إلى الفراش في الساعة التاسعة . تناولت تيريز حبة من دواء
 منوم ولكنها أسظرت أنوم طويلا فلم يأت اليها . في لحظة ما غلبها
 النعاس وإذا ببرنار يتقلب في نومه وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة .
 تسمرت بهذا الجسم الكبير المذهب يلاصق جسمها قابعدته عنها

أرادت ألا تعالي بعد ذلك من مجاورة هذه النار لها فتهددت على
 الحاحه البعيدة نعرashi . بعد بضعة دقائق تخرج الجسم الكبير
 مرة أخرى نحوها كم لو كان الحسد فيه ما يزال حيا بورق غيابة
 العمل منه ، وكما لو كان يبحث حتى في نومه عن الفريسة التي
 اعتاد اقتناصها ، للمرة الثانية مدت يدها في عصف شديد ومن غير
 أن تلمح في إيقاظه أعدته عنها . . . ! لو أمكنها أن تبعد عنها
 يدا حقيقيا وإلى الأبد . . . ! لو أمكنها أن تلقى به خارج العراشة
 أن تقذفه إلى الظلمات . . . !

ابواق السيارات في تلك الليلة من ليالي باريس تتجاوب فيما
 كد تتجاوب في ارجلور الكلاب والديكة عندما يهرق القمر ما
 من نسمة طرية تستمت من الطريق . أشعاع تيريز مصباحا وانكاث
 على الوسادة تنظر إلى هذا الرجل الممدد بلا حراك إلى جوارها ، هذا
 الرجل ذي السبعة والعشرين عاما وقد أراح عن جسمه السقاء .
 أن انفاسه لا تكاد تسمع وقد انتشر شعره الكثيف يغطي جسمه
 الذي مارال محطت بصره ويكسو صدقه الذي خلا من النجاويد
 ها هو ذا نام كبه آدم وقد تعمى عن ليانه وتجرد من سلاحه ، نوم
 عميق كانه اليوم الأبدى . الفت المرأة عظامها فوق هذا الجسم
 الممدد إلى جوارها وبضبت تبحث عن الرسائل التي لم تتم قراءتها
 لم اقتربت من المصباح :

لو قال لي أن ابتعه لتركت كل شيء من غير أن التفت
 براسي . أننا نعيش الحافة . . . الحافة الأخيرة للذة القصوى . . .
 ولكن هذا التوقف بإرادته هو لا يقاومتى أنا . . . ولعل الأصح أن
 أقول أنه هو القادم وانا الراغبة في الوصول إلى تلك النهايات
 المجهولة التي طالما ذكرها لي قائلا أن مجرد الاقتراب منها يسهر
 على اللذات جميعها وأنه يجب علينا أن نظل نمتلئ منها . أنه فسخر
 باستطاعته التوقف عند هذه المتحدرات التي يقول عنها ، أن الحرس
 إذا ما سلكها انساقوا فيها محذومي المقاومة . . .

فتحت تيريز النافذة ثم مزقت الرسائل إلى قطع دقيقة وهي
 متكئة فوق الطاولة الحجرة التي لم يكن يعكر سكونها في تلك

كيف يتم ذلك ؟ ان لانرايم وزوجته و
الى الثمن على ابن اربعين و ...
- يا ابي ما فعلت بي الي ...

كانت مدام دي لا تروف ترى ان احبار ذلك الحدث الجلل لم
تتسرب الى الخارج بعد وهى تحمد الله على ذلك . . ليس غير
الآنسة مونود عاملة البريد من يعلم بالامر فقد ضبط رسائل
هذه قادمة من آي . .

— ولكن هذه الشبهة تحافظ على الأسرار كأنها العبر . وهي على كل حال في يديا ولن تحدث بشيء .

کثیرا ما کار ہکتور دی لائرفاق بقول : « علسا الا بجماعا
تتعذب الا فی اقل قدر ممکن » .

ولسكن ذلك الرجل الذي طالما استجاب الى زوايا آن
كلها لم يكن يستطيع الا ان يوافق على كل ما تمناه زوجته وكان
يقول :

— لابد لكل البيض من أن يكتمه .. وسيدني يوم نشحروا فيه على ما فعلنا ..
فكاتبته ليريد ترد الالة :

— ولكن . . . إلى أن يأتى هذا اليوم البس من المحـ . أن تصاد
بالمريض .

عندئذ كان الرومان يؤذون بالصمت ويصاهاهم سارحتان
لأشاك انهما كانا يصمتان في مخطبتهم انذالته تسير في وجه
للشمس ناعرة من تناول الطعام وهي تعانق فيمضيها الزهور التي تراها
تستمر على طول السباح في حطوات الظلي الجمبي يمتد في
مخرج لتطلق منه .. كانت مدام دي لانراف تهر راسها وتقول:

— ليس في استطاعتى أن أكل العشاء بدلا منها ، اليس كذلك ؟
نعم ، تملأ بطنها بالعكاسة فى الحديقة لتتروك أثناء الطعام أطعمها
بإرغفة ..

پیشما هکتور دی لائرف بقول :

— سوف تلومنا فيما بعد إذا ما وافق على هذا ..

لا ، يجب الاتفاق ولو من أجل الإطعام المؤمنين الذين سئلوا بهم
إلى هذا العالم

كانت زوجته لا تحبها حقيقيا عليه لما يبدو من محاوله التحل
الاعذار لا ينتهى وكانت تقول :

— لحسن الخط أن آل ديجهايم ثم باتوا بعدواهم متمسكون
بهذا الزواج استمسكهم بحجة أعينهم ..

كان الروحاني ينتظران الى ان تغادر تيريز المحبرة ليسانل
احدهما الآخر :

ولكن ، بماذا حشوا رأسها في الدبر ؟ ان فيها ام تقع هنا
الا على كل قدوه حديدة . لقد راقبتا قراءتها .. ان تيرير تقول
ليس كروايات الحب التي تصدر في مجموعة الكتب الجديدة الاطاحة
بمقول الفتيات .. ولكن كلامها كاستغاض . على ان آس والله الحمد
لا تميل الي القراءة ولم أبد لها قعد أية ملاحظة في هذا الشأن ..
فهر من هذه الحاجة ربة اسيرة كاملة . على انه لو استغلطنا ان
تتيح لها فرصة لتغيير الهواء .. هل لذلك كم اعادتها الرحلة الى
صالي بعد اصابتها بمرض الحصبة التي صاحبها الاحتجاب الروي ؟
سندهم الي حيث يشاء هي .. ليس لدى ما اقوله غير ذلك ..
هذه الصلة حذرة بكل عطف في الحفيد

كان مسيو دي لانراف يتعهد في غميمة ويقول زدا على
فوجته !

— او .. ارحلة معنا .. لا شيء .. لا شيء ..

بينما الزوجة التي فعل ممها تساله :

— ماذا تقول ؟ .

تذكر الرجل المحزون وحشة وسط هذا الشراء الذي استقر فيه
أين هي رحلة العرام التي قام بها هو ؟ أين هي ساعات النهار في
شابه الواله ؟ .

فى الحديقة اسرعت تميز الى الصبية التى تهطل على جسدها
ثوب العام الماضى . سألتها ان عند اقترانها منها :

٥٠ - ما الذي يكسو طرقات الحدقة . وهذه الحول
 ٥١ - وهذا الرائحة المبعثة من ارجاء
 ٥٢ - التي تريد على التينات ذبولا في ظهيرة
 شهر أغسطس الحار ، كل هذا وجدته تيريز في روايا قلها .
 وكثيرا ما حدث ان الجانها توبات المطر المفاجيء الى الاحتماء داخل
 الصوبة حيث كانت حبات الرد المساقط ترتطم بالراحات فتسقط
 منه اصواب عالية .
 - ما الذي يملك من السر ما دعت لا يرثه لا .

- اني لا اراه حقا ولكني اعرف انه ينفس على بعد عشرة
 كيلو مترات من هذا المكان . وعندما تهيب اريج من اشرق اعلم
 انه يسمع دقات الاجراس في الوقت الذي اسمعها فيه انا . هل
 يتساوى صدى ان يكون برار في ارجلوز او في نارحس ؟ اني لا ارى
 جان ولكني اعلم انه ليس بعيدا عني . في يوم الاحد في الكنيسة
 لا احاول ان اتبع براسي لان المخراب هو وحده الذي يرى من
 حيث نحن جالسون وهناك عمود يفصل ما بيننا وبين الحاضرين
 ويمكنني عند مقاديره المكان .
 - ألم يكن هناك يوم الاحد المساقى ؟

كانت تيريز تعلم انه لم يكن هناك ، وكانت تعلم ان آن
 وقد دقمتها امها دعما حاليه ينظرها وسط الجمع تحت سدي
 من الوحدة الخفيف الغائب .

٥٣ - ايضا . . . انهم يحرقون عني وماله
 ٥٤ - استطاع ان اعلم شيئا .
 ٥٥ - اني لم اجد له . . .

- لو شئت انت يا تيريز . . . نعم ، اني اعلم ان موقعك دقيق .
 - واقفي على هذا السر وفي اثناء غايك ربما
 - لا استطاع البعد عنه .
 - يا كان الامر هو سوف يذهب يا عزيزتي ، بعد بضعة
 اسابيع سيرحل عن ارجلوز .

٥٦ - اسكتي . انها فكرة لا اظنها . ما من كلمة منها وتاوتني
 على الحياة ؟ اني لاكد اموت حرما . يارمى في كل وقت ان اذكر
 كلماته التي محسى اقصى قدر من السعادة . . ولكن من فرط
 ما كرر علي كلماته لا اكاد اصدق انه قالها لي فعلا . . انك كلمته
 هذه في آخر لقاء لما ماتت اسمعه يقول :
 - ليس في حياتي شحني آخر غيرك .

- نعم هذا ما قاله لي او لعل كلماته كانت « انت اثنان ما لي
 في حياتي » ليس في استطاعتي ان اذكر الكلمات بالضبط . .
 ضمت آن مانين حاحبها تحت عن صدتي هذه الكلمات الهجوة
 التي امتدت بعمها الى آفاق لا يهده لها . .
 ولكن : ما شكل هذا الشاب ؟

- انك لا يمكنك ان تتصورى ما هو عليه .
 - هل هو يختلف الى هذا الحد عن الآخرين ؟

- بودي ان اسمعه لك ولكنه ابعد كثيرا عما استطيع قوله . .
 ربما وجدته بعيد كل الذي افعله عنه شحنا عادي جدا . .
 ولكني اعني بعين من انه ليس كذلك .

انها لم تلحق شيئا خاصا تعبر به هذا الشاب الذي اضفى
 عليه حبه . كل هذا الزواء والخس . . ماتت تيريز في نفسها :
 - اما انا فان الشهوة تريد في صفاء اندهن فلا يعيب مني
 شيء يعاقب بالرحل الذي اشتهيه نفسي . .

- تيريز ، هل اذا قلت للرحل سترينه ؟ هل تحلمين اني
 كلمانه ؟ . هل معلمي انه رسائي ؟ . اذا سافرت . . اذا وجدت
 لدى الشجاعة على السفر .

تركب تيريز عالم الصوء والحمم وعادت مرة اخرى كعجوبة
 تسمى الى داخل حجرة المكسب حيث كان الاب والام . .
 هبوط حدة الحر وانكسار عناد انتهم . . اضطرت الى الذهاب
 والمجيء مرات عديدة قبل ان ترضى آن بالسفر . . بها لا شك

إليه ان تيريز ما كانت لتنجح في تحقيق هذا التحول لولا قرب قدوم آل ديهيم . لقد كانت آن تنتفض فرعا لهذا القدوم ، ولما يمثله من خطر ، خصوصا وان تيريز كانت تكرر لها القول :

— ان هذا الشاب المسمى ديهيم لا عيب فيه بالمرة كزوج .

— ولكن يا تيريز اني لم انظر اليه الا قليلا . . انه يلبس نظارات . . انه اصلع . . انه عجوز . .
— انه في التاسعة والعشرين . .

— هذا ما اوبله : انه عجوز . . سواء كان عجوزا ام غير . .

في اثناء تناول طعام العشاء تحدث لاتراف وزوجته عن بيارتر وساءلا من فداقها . اخذت تيريز ترقب آن وهي جسم كانت مدام دي لاتراف تكرر القول لابنها :

بينما آن يمدد المعلقة الى فيها في حركة آتية . . ما من لمة . . في عيبتها . . لا شيء لا اجد له وجودا في نظرها غير هذا الشئ . . من وقت لآخر ترسم على شفتيها ابتسامة حائرة لذكرى كلمة سمعتها او لمسة مستها يوم ان قابلت جان اريفيديو في احد الاكواخ الخفية من فروع الشجر وقد انطلقت يده الى . . تمزق حاتبا من قميصها . . كانت تيريز تنظر الى يرثار وقد انحنى بجسمه فوق الصحيفة ابني يأكل فيها . . لم تكن ترى وجهه لان الضوء آت من خلفه ولكنها كانت تسمع مضغه الطيء وتوكة للطعام الذي كان يقدمه . . غادرت تيريز المائدة فقالت حمانها :

— انها تمضل الا يسراها احد في تلك الحال . . يؤدي او دلتها ، وليكنها لا تحب أن يعنى بها احد . . هذا النيب هو اقل ما تشع به المرأة في وضعها هذا . . لها ان تقول ما تشاء وليكنها تعرت في التدجين . .
ثم انطلقت السيدة العجوز تروي من ذكريات حملها :

— اني اذكر حتما كنت أنتظر قدومك ، اني كنت اضطر الى استئصال رائحة المطاط . . لم تكن هناك وسيلة عن هذه لاعادة اعمالي الى مكانها . .

— ان انت . . .

— ها على المعد . .

— نعم . . اني ارى نار ميجارتك . .

تجلس آن مسانده واسها الى الكتف الجامدة . . تمزق اليه الماء حائل .

— انه يرى هذه السجوم . . انه يسمع صلاة المساء . .

ثم يقول :

— ميسى يا تيريز . .

ولكن تيريز لا تفتح على رأس الصبية وانما تسأله :

— لا . . اني لا ازال هذا المساء . . لقد نهيت اني بطريقه ر . . ياخرى سوف اجمع به . انا مطمئن الا . الامر الذي يهمني هو أن يعرف ذلك وسيعرفه منك أنت . لقد صممت على هذا السفر ولكن عند عودتي سوف اخترق من اجله احوالط . . ان عاجلا او آجلا سارنى في احضائه . . هذا ما انا واثقة منه نقضى بهيئتي نفسها . . لا ، يا تيريز لا . . انت على الأمل لا تعطينى . . لا تعطينى عن الأسرة .

— لا . . لا . . لا . . يزيى واما الفكر فيه هو . . ان المراء لا نسجم هكذا حياه الرجل . . ان له أسرته هو الآخر ، وله مصالحه ، وله عمله وربما كانت له علاقه . .
— لا . . لقد قال لي :

— ليس لي الا ابت في حياتي . .

وفي مره اخرى قال لي :

— ان حنا هو الشئ الوحيد الذي اعتر به في هذه اللحظه . .

— في هذه اللحظه . .

— ماذا نطلبين ؟ هل تذكر انه ماكان يعنى الا اللحظه وفشلا

كم تعد بتبريز حاجة لآي سألها هل هي . . .
 تسميها وهي تنأى في الظلام . . . ولكنها ما كانت تحس بشيء
 عليها . . . لماذا تنشق عليها ؟ ولماذا نرثي لها ؟ ما أحلى أن يعيد
 المرء اسما يدل على الشخص الذي أربط به قلبه . . .
 أن مجرد الإدراك بأنه عائش حي ، وأنه يتنفس . . .
 البليل سائدا رأسه إلى ذراعه المطوية ، ود . . .
 وبأن حبيسه الشاب يهرق وسط الضباب بحركة

— هل تكفين يا تبريز ؟ أمن أحلى تكفين ؟ أمك تحبيني أنت . . .
 . . . ركنيتها وأسندت رأسها إلى حاضنه تبريز . . .

— لقد أحسست تحت جبي شيئا ما يتحرك . . .
 — نعم ، أنه مثل بصمة أيام بحر . . .
 — الصغير ؟ . . .
 — نعم ، أنه حي يرزق . . .

هاتنا إلى المنزل وقد لغت كل منهما ذراعها حول حوض الأخرى
 كما كانا فعلا من قبل على طريق تبريز أو على طريق أنجلور . . .
 تذكرت تبريز أنها حانت من هذا الحمل المضطرب . كم من شهوة
 لم تستكمل بعد ؟ . . . استعاد تبريز إلى ذاكرتها ذلك المساء وقد
 . . . أو انبعاثه المتوحدة وقد صاح عليها
 « لا توقدي النور خوفا من الداموس »
 لقد أحدث في ذلك المساء تعد الأشهر الباقية على الولادة وبعت لو
 كانت تعرف إلى الله سبيلا لتسأله ألا يرزق أبدا إلى الوجود ذلك
 المخلوق المجهول الذي مازال حليطا مضطربا في أحشائها .

— ٦ —

القريب أن تبريز لم تعد تذكر من الأيام التي تلت وحبل أن
 وآل أنزاف ألا ما يذكره المرء من مرة العاص والحومل . وفي

— ٥٤ —

أرجلوز ، حيث تم الاتفاق على أن تجد الوسيلة للتأثير على أزيغيدو
 هذا وحمله على الإسحاب . لم تكن تفكر إلا في الراحة واليوم .
 لقد وافق برنار على ألا يقيم في منزله ، وإنما في منزل تبريز حيث
 وسائل الراحة أوفر وحيث تتولى عنهم العمل كلارا جميع مشاغل
 البيت . ماذا كان يعني تبريز من شأن الآخرين ؟ ليتون كل واحد
 شئور نفسه بنفسه . ما كان ليخطو لها شيء قبل هذا الهجوم حتى
 يحل موعد وسعها . كان برنار يشيرها كل صباح وهو يذكرها بما
 وعدت من الاتصال بجان أزيغيدو . كانت تبريز تنهره ولا تطبق
 عليه صبرا إلا في عصر متزايد . ربما كانت حالة الحمل — كما
 قيل برنار — ليست قوية من حالة الضيق هذه . وهو نفسه
 كان يشعر بالانصباب الأولي لحاله الملحق التي تصيب عادة الأشخاص
 اند . . . فصليته ، والتي فلما تربر مع ذلك قبل سن الثلاث . . .
 أن الخوف من الموت كان أمرا غريبا من هذا الشاب القوى السلة
 حتى ليحسبه الرأي مبنيا من الخير والرمل . ولكن ماذا كنت
 تستطيع تبريز أن تقول له وهو يشكو .

— أمك لا تدرين بما أحس به . . .

— باكاون ينهم شديد وينحلقون من
 . . . الحذرة لا يتور لها إلا مطهر المرأة
 روبر التي تزرع في الأرض الدسمة وسطه

 أحشائها وبعضها الأمر اقتلعها وهي في تنفؤان قوتها . لعلمنا قالوا
 له أن ذلك من عوارض الأعصاب . ولكن برنار كان يشعر بالشرخ
 ينتشر وبالداء يسري . ثم هذا الأمر الذي لا يصدق . أنه لم يعد
 يأكل كما كان يفعل من قبل ، أنه لم يعد يشعر بالجوع .

— لماذا لاذهب لاستشارة الطبيب ؟

— كبر كتيبه ويتظاهر بالاستهتار . أن الشك كان يبدو في
 الحذرة في غيره أم هو لا من حكم ماوت قد يصدر عنه . كان
 يحدث أن طأى منه في الليل مرة تسعدت بها من مدعوره .
 وكان يد برنار تمسك منها وتضبط بها على إسحاب الأبر

— ٥٥ —

صدره لتتحس الخفقات ، كانت توقد شمعة وتقاد قراشها لتصب بعض الدواء في كوب من الماء . كانت تعجب من ان يكون هذا المريج شديدا وتساءل لماذا لا يكون قاتلا ؟ ليس هناك شيء يهدىء شيء يحطب النوم ، ما لم يكن ذلك الى الابد .. هذا الرجل الشاكي ، ماذا دهاد حتى يحشى الشيء الذي يعطيه الهدوء الى الابد ؟ كان يستغرق في النوم قبل ان تفعل عينها .. كيف يمكن النوم الى جانب هذا الجسم الكبير الذي يبعث منه الشخير احيانا مصحوبا بالابن المرير ؟ حمدا لله ، انه لم يعد يثرها لاعتقاده ان ليعمال التقارب هو من بين حركات الجسم اخطارها على قلبه ، عندما صاححت الذئكة في الفجر لتوقظ الفلاحين ، وعندما دقت اجراس سبات كثير تمن صلاة الصباح على موجات الريح الشريرة اقلعت تبرز عيناها اخرا ، صدى تحرك جسم الرجل وهب سرعا يرتدى ملابس الفلاحين بعد ان غمس رأسه غمسا خفيفا في الماء السارد . اسرع متسللا كالكلب الى المطبخ يثدق ببقايا خراطة الفلمام . الفلر وهو واقف بقطعة من الدجاج وشريرة من اللحم البارد او يعمود من العنب مع كسرة من الحبل مدهوكة بالثوم . انها الوحيدة الرئيسية الوحيدة التي يتناولها طوال النهار . انه يلقى شيء من الفلمام الى كلبه فلايمو وديان فيسمع (طرقة) كقبها . ان الضباب في اضراح يعوج برائحة الحريف . هذه هي اللحظة التي لايشعر فيها برناد بالالم والتي يحس فيها بشبابه القسوى يعود اليه ، عما قريب ستقبل الحمامات السرية وحجب الاحكام باعداد صفارات التنزيل ، في الساعة الحادية عشرة يعود الى تبرز قيجدها مازالت في سريرها نائمة .

— اذن ؟ وماذا عن ابن ازيبدو ؟ انت تعلمين ان امي تنتظر الاحبار في بياريز بشباك البريد ؟

— ومليك ؟

— لا تكلميني عن قلبي ، يكفي ان تكلمتي عني حتى اشعر به من جديد .. طبعاً ، هذا دليل على انها حالة عصبية .. الا تعتقدين اني ايضا انها حالة عصبية ؟

٢ لم تكن تمنيه اندا الرد الذي يريد ؟

— لا احد يدري . انت وحدك الذي تعرف ما تشعر به . ليس ان انك ماتت من الذئبة الصدرية .. خصوصا في سنك هذه .. طبعاً ، القلب هو اضعف ما في افراد عائلة دي كوبرو .. انك من عريب يا برنار مع خوفك هذا من الموت ! .. الا تسعين انت كما اشعر انا بعدم الفائدة من وجودنا ؟ الا تعتقد ان الحياة بالنسبة للناس الذين على شاكلتنا تمثيه الموت ؟

هو كتميه .. انها تصدعه بمناقصاتها .. ليس عسيرا على المرء ان يستطرف ، فما عليه الا ان يأخذ في كل شيء بما يخالفه المعمول . ولكنه كان يرى انها تخطئه اذ تجهد ذكاءها معه ، وان الخير ان تحتفظ بهذا الذكاء لحين لقائها مع ابن ازيبدو . — انك تعلمين انه سيقادر فليبحا حوالي منتصف اكتوبر .

هند فيلندر — المحطة التي تسبق سيات كثير — فكرت تيريز : كيف لي ان اقنع برناد باس لي احب قط هذا الفنى ؟ سيطر بالضرورة التي احبته حب الصادة .. انه يفقد كما يفقد اولئك الذين يجهلون الحب جهلا عميقا ان جريئة مثل التي يهتمون بها لا يمكن الا ان تكون جريمة عاطفية .

حسب ان يهم برنار انها في تلك الفترة كانت اعد ما تكون عن كراهية وان بدا لها في الكثير من الاحيان سخيفا ولكن لم يكن يجول في خاطرها ان رجلا آخر يسمعه ان يمد لها بعض العون . لم يكن برنار على اية حال سيئا الى هذا الحد . لطالما اشمازت في الروايات التي قراتها من وصف الاشخاص غير العاديين الذين لا يصادف المرء لهم شيئا في الحياة .

ان الرجل المختار الوحيد الذي تعتقد انها عرفته هو ابوها . انها تجهد نفسها في اضعاء شيء من العظمة علي هذا السياسي انرا كان احمد لحد ان ارثع عني

انه من الملاك الصناعيين قراء يملك مصنعا لنشر الخشب في بلده ويتولى بمهنة معالجة عصاره اشجاره واشجار اقربائه العديد من مصنع به في سانت كلير . وهو كرجل سياسي قد عانى كثيرا بسبب طبعه الضعيف ، ولكنه على الرغم من ذلك ذو كلمة مسوعة في دور الحكومة . ما اكثر احكامه النساء . حتى لتبريز نفسها في الوقت الذي كان الجميع فيه يتفدون بذكرائها وفلنتها . انه لا يكف منذ وقوع المأساة عن ترداد قوله :

— كلهم محتولات عندما لا يكن غيات .

هذا الزبدى كان يلبس عند الروم ثوبنا . وعلى الرغم من انه كان يرمى أحيانا ببعض النجان بيرانجيه ، الا انه ماكر يحصل الحديث امامه من بعض الموضوعات ، ويحصر وجهه خجلا كالراهن القريب . لقد سمع برنار من مسو دي لاراف ان لاروك عندما تزوج كان طاهرا لم يقرب النساء من قبل :

— ومنذ ان قمرل اكد لي هؤلاء السادة ان احدا لم يعرف قط ان له خليفة ، انه ارجل عجيب ، ابوك هذا .

— حما ، انه ارجل عجيب . . . ولكن اذا كانت تبرير تخيل ايها على البعير في هذه الصورة القديمة ، فانها سرعان ما كانت من على العرب ندالته . كان جيبته الى سانت كلير قليلا والى ارجاور كثيرا ، فهو لا يحب مدينة آل لاراف ، وعلى الرغم من خطر انتحار في السياسة فيه سيم ، فما يكادور يحتمون على الطعام حتى يتطور النقاش السخيف بينهم الى مرارة . كانت تبرير تحفل من المشاركة في حديثهم هذا وكانت تركز كبرياءها في الا تفتح فيها الا حينما يتلوه الحديث الى المسألة الدينية . عندئذ كانت تهيب لشجده مسيو لاروك . كان الصراع تصاعد من كل منهم حتى ان العمة كلارا نفسها كانت تسمح بعض اطراف النقاش فتلقى بنفسها في المعركة وتتساب مغلقة صوت انكسب في صوت الضياء العجوز ذات الاراء الراديكالية المطروقة :

— من يدري ما الذي يحدث في الاديرة ؟

كانت تبرير ترى ان العمة كلارا هي قرارة نفسها اكثر تدنا من أي فرد آخر في عائلة لاراف ، ولكنها في حروب نفسية بسبب ما عى عليه من الصمم والدمامة والذي قضى عليها بان تموت من غير ان تعرف الحب ومن غير ان يمتلكها رجل . منذ ذلك اليوم الذي تدارت فيه مدام دي لاراف اتفق الجميع على الايدور الحديث بينهم على الروحانيات فقد كان في السياسة ما يكفي لخراج هؤلاء القوم عن وعيهم . وسواء اكانوا من اليمينيين ام من اليساريين كان يسهم انعاما على هذا المدا النجوى وهو ان الملكة تمثل الخير الوحيد في هذا العالم وان السبب الاسمي للحياة هو تملك الارض . اما ان يحسب للناز حسنا في ذلك والى أي مدى يمثل هذا الحساب ، فان تبرير « التي كانت الملكة في دما »

كانت تود لو ان السؤال اثير في مثل هذه الصراحة الجارحة ، ولكنها كانت تكسر في آل لاروك وفي آل لاراف على السواء تلك المظاهر الكاذبة التي يخفون وراءها مايتهم من شهوة مشتركة . وحينما كان ابوها يعلن عن « ولاته الذي لا يتحول لديمقراطية » كانت تصمعه قائلا

— لا داعي لذلك فنحن الآن بمفردنا .

انها كانت تقول ان الكمال في السياسة (يقرنها) ان المأساة في صراع الطغاة كانت تغيب عن ذهنها في ذلك البلد الذي يمتلك فيها غير الناس املاكا ولا يطعمون الا ان يزدوا مقدار ما يملكون ، ذلك البلد الذي خلق فيه حب الناس المشترك للأرض والصيد والاكل والشرب ، اخوة وبقية بين سكك الحضر والملاحين . ولكن برنار كان يضم الى هذه الصفات كلها قلرا من التعليم ، كان الناس يقولون عنه انه برز من حجره الى الخارج . ان تبرير نفسها كان حدث معه رجلا معه الوسط الذي برز منه . هذه كانت نظرتها اليه حتى ذلك اليوم الذي عاش فيه جان ازيغيدو .

كان ذلك في الفترة التي تعقد فيها يروده السا اار صرصة اليوم كله ثم تغلب الشمس في وقت الاصيل

صيفاً بينما الضباب الخفيف يثبىء على البعد من قرب حلول
المساء . لقد مرت الحمامات البرية الاولى وما كان برنار لسود
الى المنزل الا عند هبوط الليل . على انه في ذلك اليوم صبحا بعد
ليلة سيئة فضاها ثم ذهب لتوه الى بورديو ليعرض نفسه على
الاطباء .

قلت تيرن تخاطب نفسها :

ما كنت راغبة في شيء عندئذ . . لقد خرجت اسير مائة على
الطريق لان من واجب الحلي أن تسير قليلا . لقد نحاشت المروء
وسط الاحراش حتى لا اضطر لسب مصايد الحمام الى الوقت
في كل لحظة واطلاي الصمارة لم الاسظار الى ان يسمح الصياد
بصرخة عالية بالمروء . وكثيرا ما يحدث ان ياتي الرد على هيئة
صرخة طويلة : لقد هبط سرب من الحمام وسط اشجار البلوط ،
وهنا يجب الابتواء خوفا من الإصابة . عدت الى المنزل واجلست
اتنفس امام نار الصالون او امام نار المطبخ ، تقوم على خدمتي في
ذلك كله العمة كلارا . وما كنت لاهمل التمتع لتلك العائس التي
لا تكف عن سرد قصص الحدم والعلاجي . انها تلحق قصة
بالقصة ، وكانت قصصها دائما كثيرة اطعماها الصيادون الذين
تعلى بهم وترعاهم لي تعان عجيب ، عجرة قضى عليهم بان يموتوا
وجوعا وبأن يعملوا حتى الموت ، وآخرون لا عائل لهم ونساء يقعن
ياشقى الاعمال . . كنت العمة كلارا تستعيد في هامة برثة وفي
شيء من السعادة كلمات هؤلاء البؤساء . انها في الحقيقة لم تكن
تحب احدا الا أنا بينما كنت لا اعيرها أدنى التمتع وهي تركع على
وكبتها لتفت اربطة حداثي وتخلع حواربي وتلقى قدسي بين يديها
الماستير .

— كان باليون يحقر لتلقى طلعائنا عندما يتسوى الذهب في
اليوم التالي الى سانت كلير ، فكانت العمة كلارا تمتد قائمة بالادواس
وتجمع وصفات الدواء لترضى ارجلوت وتقول له :

— تذهب اول ما تذهب الى الصيدلية فقد لا يكفى اليوم بطونه
لامداد الادوية .

— اول لقاء لي مع جان . . . يجب ان اذكر دقائق كل طرف . .
لقد اخترت ان اذهب الى ذلك الكوخ المجاور الذي طالما تساولت
فيه الطعام مع كن ، والذي اعلم انها اجبت ان تقابل فيه ارفلوس .
لا ، لم يكن في ذهني ان احيى الى هذا المكان ، ولكن اشجار الصنوبر
في هذا المكان كانت قد بلغت من الارتفاع حدا لا يسمح باقامة
مصايد الحمام فيها . فما كنت اخشى ان افسد على الصيادين
عملهم . ان هذا الكوخ لم يكن يصلح للمصيد منه ، لان الغاية فما
حواله كانت تمد الاق تماما وقمع الاشجار لا تتيح تلك الفجوات
الواسعة التي من خلالها يرقب الصيادون قدوم الاسراب . اتي
مازلت اذكر ان شمس ذلك اليوم من اكتوبر كانت لاسعة ، واني
كنت اعاني من السير على الطريق الرملى وأن الذباب كان يضايقي . .
كم كان بطني ثقيلا . . . !

لقد انحصر همي كله في الاسترخاء على ذلك المقعد المتهشم
داخل مصيدة الحمام المجورة . ماكدت افتح باب الكوخ حتى
خرج الى شباك عاري الرأس عرفت فيه للوهلة الاولى حان
الوقت . . .
ولكنه نشئت بي يستيقظي :

— كلا يا سيدتي بل ادخلي انك لي تفسدي على شيئا .

— دخلت الكوخ بعد الحاج منه فمحيبت اذ لم اجد به احدا . .
لعل الراحية قد اعلت من باب آخر ! ولكن ما من عود سمعته
يتكسر . لقد عرفني هو الآخر على التو ، وكان اول اسم جاء على
لسانه هو اسم آن دي لانراف . كنت جالسة وهو واقف كما
يدا لي في الصورة الفوتوغرافية . نظرت من خلال قميصه الى
التي . . .
لاشهوة فيه قط . هل رايته جميلا ؟ جهة عريضة قوية وعيانا
ضعفان تبتشان من عنصره وصدغان ممثلتان كثيرا ثم ذلك الشيء
الذي طالما قرأني من الناس في تلك السن . . .
الدم المحرق في عروقه . انه يتضح من ج

كأنه لم يأت إلا ليأخذ يحققهما في مبدله قبل أن يضافتي .
ولكن بطرته الجميلة كنت كأويه . لظلا أحببت ذلك العلم المبرج
دائم من حرمته .
على ما ذكر . لقد أحبت أحده في أمة ، وأتت في صوت وهيبة
الذي يحدث الأسطراب والفرقة بين أفراد عائلة محترمة . إلى لأذكر
دهشة لهذا الكلام وصحكنه الصيابة عندما قال .

— أذن أنت تظنني أنا سوف أ . وحده . أنت تظنني أنا أنني
إلى بل هذا الشرف .

رتبة ذهبي . أنا مدهشة بمدار الهوى الواسع بين ما شعرت
بالحل . هذه الفتاة اللطيفة ، هل حرم على الشباب أن يلعبوا ؟ وما
كان اللعب بينهما بريئا إلا لأن فكرة الزواج كانت منتمة تماما . لقد
تظاهر بلا شك بمشاركة آن في نواياها ، ولذا أسرعت إلى معاقبته
عند هذا الحد . ولكنه عاد يقول في حماس أن آن نفسها سوف
هذا ذلك فهو لا يشك بأن الأسرة دى لاتراف مدينة له بكل ما في
حياتها الكثيرة من سمات مليئة بالسعادة الحقيقية ، وبكل ما قد
لها أن تقاد من حب . ثم قال :

— انك تقولين يا سيدتي انها تنال ولكن هل تعتقدين أن في
مسار القوم هنا . قبل أن تبحر آن إلى أباس رحلة لها في ذلك
البيت العتيق القائم في سانت كلير زودتها بخبرة ثمينة من
الأحاسيس ومن الأحلام . ما تكفي لإنقاذها ، ربما ، من الراس ؟
وعلى سحابة من السعد .

لكن لا من سحابة من السعد .

الكلف أم إلى انعطفت ناحيتي إليه . لقد كانت العاطفة في الحقيقة
تساب مسرعة إلى درجة أنني لم استطع متابعتها في تفكيره أول
الامر . ولكن لم يلبث ذهني أن تعود على هذه الزلاقة في القول .

— كيف ساع الاعتماد أني قد اربح في زواج كهذا . أو أن
التي بمرساتي على هذه الرمال ؟ أو أن أحمل اكتئاب في باريس
بصورة صميرة لا مما لاشكيد أني سوف اضبط دائما من أن بصورة
محبة . بل لقد كنت في اللحظة التي فاجأتني فيها ريارتك الفكر
فها فعلا . ولكن ، يا سيدتي . كيف يمكن للإنسان مثل أن
على حال ؟ يجب أن تأتينا كل دقيقة من دقائق الحياة بكل ما
من لذه ومرور بحتناني عن كل ما سبقهما من لذة ومرور .

— هذا اليوم الحوالي الشاب وهذا الذكاء المتجمع في كائن
واحد تدينا لي في غرابة أحترنتي على أن استمع له والا أقاطعه .
حقا ، لقد شددت أنا أيضا ، وأن لم يكلفني ذلك والله الحمد ثمتا
كبيرا . ولكنني شددت . وما زلت أذكر ذلك الدبيب المصحوب
بترتير الاخراس وبصرحات الرعاة الذي يشي على البعد عن اقتراب
قطيع الاعمام . قلت للشباب :

لعل من سحفت الامور أنفي معا هكذا في ذلك الكر . وكنت
أود لو أنه قال لي من الخير ألا يحدث أية حركة حتى ينتهي مرور
الطبيع اذن سمعت بهذا الصمت إلى جانبه بهذا التواضع معه ،
فقد أصبحت أنا الأخرى راضية أتمنى أن تأتيني كل دقيقة بما
يسعد الحياة . غير أن جاري ازمندو سارع بغير اعتراض إلى فتح
باب الكوخ وأبختي بأدب عظيم يؤذي لي بالانصراف . لم يصحني
إلى ابرجلو إلا بعد أن تأكد من عدم معانتي في ذلك . كم كانت
قصيرة رحلة الصودة على الرغم من أن مرافقي وجد خلالها من
على تجديد أرائي في كثير من تلك الموضوعات التي كنت

ألتصوقون . . . ان الناس الذين هم على شاكلتنا انما يتناقون دائما للبركات ويسبرون دائما مع الجيول

انه يرجع كل شيء الى قراءته في ذلك الوقت . تواعد على انلقاء لحدود فيما يتعلق بالخط السلوك الذي يسلكه . كان متحم وهو مشبع التفكير ومن غير ان يجيب عن سؤال وجهته اليه انحتني الى الارض وفي حركة صيبانية اشار الى ساق باب اقرب به من بعد ومن شفتمه .

- ٧ -

كان برنار واقفا على عتبة الباب ستظهر مودة تريت . وما ان رأى ثوبها في عتبة المساء حتى صاح .

- ليس بي شيء . . . ليس بي شيء . . . هل تعقدن الي ، وانا على ما ترين من قوة وهدية ، مصاب بالهرال لا انه لا امر لا يصدق ، ولكنه مع ذلك هو الواقع ، يجب الا نخدعنا المظاهر . . . سابع علاج . . . علاج (فالور) الذي اساسه الريح . الامر المهم هو ان استعيد شهيتي للأكل .

تذكرت تريت انها في اول الامر لم تهتم لما قاله برنار . ان كل ما يحدثها منه لا يعيها الا قليلا كانه هو شربة موجه اليه من بعد كبير . ثم تكن تصفى لما يقول بعد كان جسمها وروحها كلاهما متجهين الى عالم آخر ، عالم يعيش فيه الكائنات النهمه التي لا تمنى الا المعرفة والعلم والتي تريد - كما قال جار في امساعه العميق - ان تتحول الى ما هي عليه .

وعندما تحدثت على المائدة عن معانيتها مع جان صاح بها برنار :
- لماذا لم تكلميني عن ذلك ؟ يالك من امرأة . . .
ماذا قورتها ؟

أحدث تريت تشرح الحيلة التي تسبج
جان اراد ان يتركها لا . . .
لأنها ، ندر برنار عندما احبته . . .

- ٦٦ -

في هذا الرواح . كيف ؟ هل عبر الا يرضى واحد من آل اتريدو بالزواج من آن دي لآراف .

- لقد جئنت يا عزيزتي . . . ! انه انما يعلم فقط ان هذا امر مستحيل . هؤلاء القوم لا يخاطرون بأنفسهم عندما يكون انفسهم مؤكدا لهم . ما زلت نمره يا صغرتي . . .

حرص برنار على الا يوقد المصباح حتى لا يكثر الشاموس ولذلك لم ير النظرة التي وجهها له تريت . أعلن انه قد استبعد فعلا شهيته للطعام وان طبيب يورددو قد رد اليه الحياة فعلا .

رهات . . . لا اقع منها الا عند تلك التي اهمك خلالها معا في تحرير الرسالة الى آن . لقد كان الشهاب الساذج يوهف عند عباداته يعتقد ان فيها العراء كله ، بينما لم اكن ارى فيها من غير ان اذكر له شيء . الا القسوة والفتاعة . على ان عدواننا وروحنا الاخيرة تخلصت مما في ذكرى وحيدة . كان جان اتريدو يصف لي بارييس وصداقانه فيها فكيف تخيل ذلك كله كملكه واسعة يسودها عدوون هام بعض بان يتحول كل انسان الى ما هو عليه . انك هنا مدعي عليك بان تعيش في الكداب حتى الموت . هل كان كلامه ههنا عن قصد ؟ اني ما كنت لاستطع سماع عبارته هذه من غير ان افسس بالاحياء . قال لي :

- انطري الى هذه الصفحة الواسعة الزرسة من الجعد وقتنا حسبت في صلح كل هذه العوس هنا . قد تحدث أحيانا فحوة تفلن من خلالها المياه السوداء ، لقد تحيط انسان واضطرب ثم احبى وعادت القشرة السمكية تلثم اطرافها من جديد . ذلك ان كل انسان هنا وفي كل مكان آخر يولد ومعه قانونه الخاص . هنا وفي كل مكان آخر القدر مقدور بصاحبه . ومع ذلك يجب على الجميع ان يستسلموا تقضاء واحد كئيب . قد ييسد العصر مقاومة . معاندة لهذا القضاء فتشأ من ذلك . . . الى التي يجريها العبادات في طي الكتمان . انهم يقولون هنا :

- ٦٧ -

• بحبه سقلم سائر الصلحة •••
• لقد أحبه على القور •

• حقا ، لقد سمعت أحيانا الى التعرف على شيء من أخبار
ذلك العم الأعلى أو تلك الجدة البعيدة ممن احتب صـورهم
الفوتوغرافية من كل ما لديها من مجموعات • فما فزت من ذلك
ابدا بديل • اللهم إلا مرة واحدة حيث عثرت على هذا الاعتراف القدي
يسون :

• لقد احتفى ••• لقد أراهه من الوجود •••

• هل كان حاس أزيغيدو يخشى على من هذا القدر المحتوم ؟
لقد أكد لي أنه ما كان ليذكر ابدا في محادثته أن عى هذه الأشياء •
فهي على الرغم من شهوتها الجامحة لا تعدو أن تكون نفا بريشة
لا تكاد تعرف الشورة واعتاد • ومآنها عما قريب الى السودية
والخضوع •• أما أنت هبى التحسس في كل كلمة تقولونها حاجة
الجانح الفلاني الى الصدف والصرخة •

هل يجب على أن أسفل هذه الأحاديث فعلا كاملا الى برنار ؟
من الجنون أن اتوقع منه مهما صحبها لذلك كله • على أنه يجب
أن يعرف أنى لم استسلم بغير مقاومه وكفاح • أذكر أنى عارست
الشباب بقولي أنه يكسو بالصبرات الباردة أحط مول الانحدار
وأحقرها • بل لقد استعنت في ذلك بما كنت أذكره من الفراءات
الأحلائية التي كانوا يرضونها عليا في المدرسة الثانوية •
فتت له :

• ما معنى أن يتحول الإنسان الى ما هو عليه ؟ أننا لا نصل
إلا الى مستوى ما نخله بانفسنا لانفسنا •
لا حاجة أنى مزيد من الشرح هنا وربما كان الشرح وأجيبا
مند معاملة برنار •

كان أزيغيدو ينكر أن هناك مسقوطا أسوأ من تنكر الإنسان
لذاته • برغم أنه ما من بديل ولا من قديس إلا ودار ولف حول
نفسه أكثر من مرة • إلا وبدأ أولا بالوصول الى أقصى حدود نفسه •
نكأن يكرر قوله :

• ٦٨ •

• • على المرء أن تتجاوز طاقة نفسه ليجد المسيل الى
الله • أما قبول المرء لتعبه على علاقته فهو أمر يقضى على الأحيار
هنا بأن يواجهوا بعضهم بعضا في قبال يتوصونه مكشوفى الوجوه
تغير متخذين الى الخدمة سبلا • لذلك كثيرا ما ينتهى الأمر • لا
المتحدرين الى اعتناق أخيق الديانات رجابا •

• من الخير ألا أناقش مع برنار أسماطة هذا الاتجاه الأخلاقى
وصحة فحواه • بل ومن الخير أيضا أن أسلم له ما هذه كلها أن
هى الأخرعات وسفسطة لا طائل تحتها • ولكن الشيء الذى يجب
أن يفهمه وأن يحمد عقله في فهمه هو • الى أى مدى يمكن لامرأة من
قصيدتى أن تنأى بهذه الآراء •

كان برنار يحلج حذائه في جانب المطبخ الغربى وهو يتحدث
باللهجة العامية عن نتيجة صيد اليوم • الخدمات الحبيسة
تنتفض داخل الكيس الملقى على المتضمة • كان برنار ناكل ببطء
وهو سعيد يشهته التى عادت اليه ويعد بمسبليه مطراب دواء
(العاوى) المتساقطة •

كان لا يكف عن تزويد قوله :
• هذه هى الصحة والعمية ••

هناك قدر كبير من المار يلتهب في المدواة وما كان عليه بعد
الإنهاء من الطعام إلا أن يدير مقدمه لواجهة الحرارة بدمية
المتنمئين بالوير • أغلق عينيه على الحريدة التى كان يقرأ فيها
وكتبت أسمع أحيانا شحيرة وأحيانا أخرى لا أسمع به أندسا ••
بالبونت تنتقل بمص الوقت في المطبخ ثم تاتى بالشوموع •
وبعد ذلك يسود الصمت •• صمت أوجلور الرهيب • لا يستطيع
من لم يعرف متطعة اللاد القصبة أن يتصور هذا الصمت • أنه
يحيط بالبيت كما لو كان جدارا كثيفا استند الى الثسابة التى
لا تنفس فيها مخلوق • اللهم إلا تلك الوم المولولة التى تذكرك في
رجح الليل الهيم بالانات المكبوتة في صدورنا •

• لم أشعر كل الشعور بهذا الصمت الثقيل إلا بعد رجيل
أزيغيدو • فقط كتب غرب •

أسرعت تفتح ابواب قسالتها تميز الى أين هي ذاهبة ؟

- الى فلنحنا - في سة . .

- أكرر لك القول أنه رجل منذ يومين .

- لا اصدقك .

خرجت آن وأسرت تميز توقد القنديل الملحق في التعلين
ولحمت بها .

- انك تصرين على غير هدى يا صغرى ان . هذا طريق
بيروج كما تعلمين ، فليجأ في هذا الاتجاه .

احترقت انصاب المصاعد من الحمول . استقطب الكلاب
طاهى ذي شجرات الطوط في غنمينا . هذا هو سنة أنه ليس رافدا
وانما هو ميت . دارت آن حول هذا القبر الحالي وطربت الارب
بكلت قبصنيها ، وقب تميز لا تحرك وقد وضعت القنديل على
المشيب ، رات شبح صدقها اضعف يلتصق بكل نافذة من بوابه
الدور الارضى . لاشت ان ان تكرر في تلك اللحظ انما من غير
ان تخرج به . تعلم ان انصراف لا يحدث فيلا . حبسها البيت
بخطه ثم عدت ابى انظهور وارتمت على عتبة الباب عاتقه دراعها
حول ركبتيها ، وقد احمت بينهما وجهها . رعمها تميز وجدها
حلتها . احبت آن تكرر وهي تمثر " سادع عدا صبايا الى
باريس . ليست باريس كثيرة الى هذا الحد . ساهتر عليه في
باريس . . .

قلت هذا بصوت الطغلة التي كعت عن المقاومة واسمها مره
الى الانتدار .

كان برار ، وقد ابقطه اصواتهما ، ينتظرهما في الصالون .
ان تميز تحطى اذ طردت من ذاكرتها ما حدث في تلك الليلة ،
الاح واخته . هذا الرجل انقادر على القنص بقوة على يد هذه
الصية المنهكة ، القادر على جذبها الى داخل احدى حصرات
الدور العلوى وانقادر على اغلاق الباب عليها وحبسها ، هذا

الرجل هو زوجها يا تميز ، مرنار الذي سمعنا هذ مساعتين
الغاسي الذي يحكم عليك . ان روح العائلة هو الذي يفرد ويغده
من كل تردد . هو يعرف دائما وفي كل الظروف ما يارم عمله من
أجل مصلحة العائلة . انك في عمرة القلب والنوح تسعدين دفعا
طويلا ، ولكن الرجال الذين لا مباديء لهم هم وحدهم الذين
يسطيعون ان يسلوا عن وائهم امام الاسباب التي يبديها الآخرون .
ان مرنار يهرا ما للحجج التي تبديها ، انه يقول : انى اعلم س ما يحب
على عمله . .

انه يعرف دائما ما يحب عليه عمله . واداب تردد في ذلك قال :
- لهذ تحدثنا عن ذلك في العائنه واسبان . . .

كف يوغ لك ان تشكى في انه قد اعد قراره فعلا ؟ لقبك
تقرر معيكر الى الابد . خير لك اذن ان تنامى .

- ٨ -

بعد ان اعاد آل دي لاتراف آن مهرومه مستسلمة الى دسات
كثير لم يعادر تميز أرجلوز حتى قرب موعد وقسمها . عرفت
القصه الحقيقي هناك في تلك الليالي التي لا نهاية لها من ليالي
نومير . ارسلت رساله الى جان ازيعدو ولم تلقى عنها ردا .
لاشك انه رأى ان تلك الفروية لا تساوى ما قد يلماه في مكاتبها
من ملل ، انها امرأة حامل والمرأة الحامل لا توحى بشيء من
الدكرات الجميله . لعلها ، على البعد ، قد حكم على تميز بالتماهة
هذا امرى الذي ربما اسوقفه مشكلات المواقف الكاذبة . ولكن
ما احدى يستطيع ان يفهم هذا الامر من تلك السياسة الحديثة
ومن تحت الظفر الماشرة ، ومن تلك الحركات التي لم يحاطلها
قط تردد . انه - في الحق - كان يعتقد انها كالمصيرة آن ، قادرة
على ارتاخدعليه كلمته وان تترك كل شيء لتنتهه . ان جان ازيعدو
يتحاشى النساء اللاتي يسارعن الى الغاء اسلحهن كى يتمكن المهاجم
من رفع الحصار بقر عشاء . انه ماكان يحشى من اختصر الا تمرته ،
على ان تميز كانت تجهد نفسها لتعيش في دنيا هذا الشباب ، غير
ان الكتب التي طالما حدثها عنها جان في اعجاب والى احبستها من
يوردو بدت لها غير مقبومة . ما افسى العشاء الذي تعيش فيه

تبرير ! ... لا حدوى من أن تنكب على أعداد الأعملة اللازمة
لجودها ، فقد كنت مدام دى لاتراف تقول ، أنها لم تخلق لأجل
هذا العمل ، كثيرات هن النساء اللواتي يعتنن في الريف في عملية
الوضع ، ولظالما انك تميز العملة كلالا ، وهي تؤكد لها أنها
ستنتهي الى ما انتهت اليه أمها من قبل ، وأنها لن تعلق من الموت
كنت تضيف الى ذلك أنها لا يهمني أن تموت ، كذب ، أنها لم ترغب
قط في الحياة قدر رغبتها فيها في ذلك الوقت كما أن برنار لم يظهر
تجوها قط رعاية وعناية قدر ما يظهر لها الآن ، « أن عناية لم
تكن لي أنا وأنا لما كنت أحمله بين أحشائي » كثيرا ما كان يقول
لها بصوت الإحشئ الكثيف :

— كلي من هذا الصنف ... لا تأكلي من السمك ... لقد
مئيت كثيرا اليوم ... لم تكن تفانحه هذه لتؤثر في الأبقار
ما يؤثر اليوم في الموضعة القريبة التي يهبون عليها طبيعة لينها .
أن ما يحترمه آن لاتراف في شخصي هو الوفاء المقسدين : ذلك
المستقر الذي تسكن فيه ذريتهم . لمعت أشك أنهم ، إذا لم
الامر ، يضحون بي من أجل هذا الجنين . لم أكن في نظر الأسرة
الألومع ولم يكن بهم غير التمره المعلقة بأحشائي .

كان غيبه أن تعيش حتى نهاية ديسمبر في ظلام . ألم تنكب
أشجار البسبور التي لا عدد لها فقيم حول البيت المقيم سياجات
من أفرعها الكثيرة ، حتى يأتي المطر المهر فيضيف الى هسهة
السياجات سياحات جديدة . وعندما أوشك الطريق المؤدى الى
سانت كير أن يصبح غير صالح للسير فيه نقلوني الى القرية في
البيت الآخر هناك الذي لا يقل طلاما عن بيت أرجلور الأقبلا .
أشجار الحور العتقة المسجة وسط الميدان تتنازع مع رياح
الشتاء ورفقاتها الأخيرة . لم تكن العملة كلالا لتستطع الحياة في
غير أرجلور ، لذلك كثيرا ما كانت تقطع الطريق الى في (ا)
العاصف على عربتها الصغيرة التي يثبت هي الأخرى « على قدر
الطريق » . كانت تحضر لي تلك الحلوى الى ظالما أحينها وأنا
بنت صغيرة ، والتي كانت تظن اني ما زلت أحيا الآن : تلك الكرات

من دقق الشوفان المعجون بالصل ، وتلك العطائر التي تحبها
صغها . لم أكن أرى أب الا في أوقات انطام ولم تكن هي توحه
الى الحديث . يبدو أنها استسلمت وكنت عن المقاومة . ففصلت
يذقت حويتها جميعا ، كان شعرها المنسود الى الحيف يكسب عن
أدنها الفصحى أشاحس . لم يكن أحد يذكر اسم أن ذيلهم لا
غير أن مدام دى لاتراف قالت أن أسها وأن لم تبد موافقها بعد
لم تكن قد انتهت رفضها نهائيا . ما أصدق الحكم الذي أصدره
عها حال ! لقد بقي قليل من الزمر لوضع اللحم حول عصفها
ولحملها على السير كما يشاءون . برنار لم يكن في حير حاله ، لأنه
عاد الى أحياءه اشرف قبل ساول انطام . ما هي الاحداث
التي كان هؤلاء يقوم بشارعها من حولي ؟ أنهم يستعدون كثيرا عن
قيس القرية . بعد كذا كما أذكر ، عطف في مواجهه انكسلة .
لقد نساءوا مثلا لندا لجنار المداين أربع مرات في ذلك اليوم . وكان
في كل مرة يعود من طريق غير التي سلكها من قبل .

وحبب تبرير ، متاء على ما سمعته من جان أرمندو . أهدما
خاصا الى هذا العنيس الذي مارال في رمان الشاب . وأدى لم
يعم ليعنه اعتبارا منه صغها ، فروا قنه بذلك وحلا محجرا
صعاليا : « ليس هذا هو الصنف الذي أصبح هنا ... » في خلال
زبارنه القليلة لآر لاتراف لاحظت تبرير صدقيه الانصبي وحده
القائلة — اليس له من صدق ؟ كيف بقص أمميته ؟ ما الذي
حمله على اختيار هذا النوع من الحياء ؟ قالت مدام دى لاتراف :

— أنه رجل مستعيم يؤدي العادات كل مساء ، ولكن يصوره
الافتناع . اني لا أرى عه ما يعال عه ، الرجل الذي الورع ...
أوجه التشابه أنه يملأها تماما .

عابت عليه القاء فرقة الموسيقى المحلية ، كما أن الأهل
لا يكفون عن الشكوى من أنه لا يصاحب التلاميذ الى ملعب الكرة .

انه لشيء جميل من القسيس الا يرفع انفه عن الكتيبة ولكن
الرعية سرعان ما تضع « أحدث تيريز تردد على الكتيبة لتستمع
الى عظاته .

لقد أقبلت يا صغيرتي في الوقت الذي يبيع لك فيه حائلك
الامتنع عن الحضور .

لقد كانت انحطبت الى بطنها هذا القسيس حول المعيدة او
الاحلاق ذات طابع عام ، ولكن ما كان يعنى تيريز منها هو نبوة
اصوت وتل الانسابة . ولكن بعضا من كلامه كان بها معنى عميق
لهله يستطيع هو ان يجد الحل لهذا العالم المضطرب الذي يعتمل
في بطنها . انه يحلب عن الآخرين اذا اضاف الى الوحدة الداحلية
اشي يعيش فيها هذا امعاء الذي تحلقه المسوح حول من يرتديها .
اي راحة يستنعمها هذا الرجل من طوقه اليومية ؟ لقد ودت
تيريز لو استطاعت ان تحصر القداس الذي يقيمسه في وسط
الاسبوع ، حيث يحو الكتيبة الا من احد التمامسة وبكفي وهو
على كسرة من الحر ينعم فوقها بعض الكلمات . ولكن صملا
مثل هذا قد يبدو تريبا في نظر العائلة وفي نظر اهل القرية جميعا
اذ يهيموها عندئذ بالتحول الى طريق الدين .

يا كانت الآلات التي قاستها تيريز في هذه العترة ، فان تيريزها

ان كانت الآلام التي قاستها تيريز في هذه العترة فان تيريزها
بالحياة لم يبدأ الا في اليوم التالي لوصفها انها لم تعد تطبق
الحياة حقا . لم تكن تيريز من ذلك ... ثانيا في مظهرها ، فلا عراك بينها
... بار وكان احترامها لاهل زوجها يفوق احترام زوجها لاهل
هنا كانت تكس الماساة ، اد لا يوجد للحصام سبب ، وما كان من
المتوقع ان يحدث السبب الذي يمنع هذا الهدوء والترتيب
من ان يستمر هكذا حتى الموه . لم تكن تيريز ترى برار بل ولا
اهل زوجها . لم تكن كلماتهم تصل اليها ولم تكن بها حاجة لان ترد
عليهم . هل كان تفكيرهم متجانسا ؟ وهل كانت لهم واحد ؟

... انما تعلم ان شيئا من ذلك لا يؤثر ...
لكن مدام دي لانتراف لم تكن تطبق من تيريز تظاهرها بالصق
يا تذكره الناس عن التسه بينها وبين الصغيرة ماري . ان ملاحظات
الناس حول هذا التسه كانت تثير في نفسها من الثورات مالا يستطيع
في كثير من الاحيان احقاؤه . كانت تقول
... هذه الطفلة لا تشبهني في شيء . انظروا الى هذه البشرة
السمرء والى هاتين العينين السوداوين وانظروا الى صدرى وقلبي
كنت انما طفلة شعراء .

لم تكن تيريز بينها وبين ماري شسبها . لم تكن ترغب في ان
يوجد لها مع هذا الكثر الذي انفصل عنها شيء مشترك . بدأت
الاخاويل تسرى بان عاطفه الأمومة معدومة فيها ، ولكن مدام
دي لانتراف كانت تؤكد انها انما تحب ابنتها على طريقته الخاصة :
... حقا يجب الا نضاهي بالاشراف على استحياسها او تنقيس
فراستها ، فهنا من الامور التي لا تطفلها ولسكني وأبنتها تسمى
الامسبات الطويلة التي جانب المهد جالسة ، وقد امتنعت من
التدخل في الططة الثامنة ... على ان لدينا حادثة امسية
... ثم هناك آن ... يالها من فتاة ... اقسم لكم انها ستصبح
يوما اما مثالة صغيرة ...

منذ ان احدث الطفلة تطلق انعاسها في المنزل عادت آن الى
الحياة ، ان المهد يحتجب اليه التماس دائما ... ولكن آن اكثر
من غيرها كانت تتناول الطفلة وفي قلها سرور عميق . ولكن تحد
لنفسها حرية الوصول الى الصغيرة ، عادت الى مصاحبة تيريز من
غير ان تبقى على شيء من مودتهما القديمة فيما هذا المحاملات
العائلة . واكثر ما كانت تخشاه الثمانية من تيريز غيرتها كام .

... ان الطفلة تعرفني أكثر مما تعرف ابيها ، انها تفحك كليا

برنائو . في يوم كنت احملها بين ذراعي واذا بها تصرخ صراخا عاليا
عندما جاءت تيريز لتأخذها . انها تفضلني على من مساوى حتى
لاشعر بالخرج احسانا .

لم يكن بآى حاجة لآى شعور بالخرج ، فقد كابت في هذه
المرحلة من حياتها بعدة عن انشائها بعدها عن كل شيء آخر ، كانت
ترى الناس والاشياء وجسمها ذاته وغفلت عن نفسها سرائدا وعاء بهم
يمر بها عندها . كان برنار وحده هو الذى يشعر وسط هذا الفراغ
محمية الوجود المذيق . حكمة الصبح وصوته الالى وادامره
الضاربة ، كل شيء فيه شئى عن الرضا . لم يكن يفهم ما معنى
الخروج من العالم . كيف يتم هذا الخروج ؟ والى اين يذهب ؟
يشامر البحر بذات تيريز . ما من شيء يسهلها الى ما هي مقدمة
هذه من عمل . ماذا جرى في تلك السنة ؟ انها لا تذكر من ذلك
شيئا ، لا حوادث ، لا عراق . كل ما تذكره انها شعرت بحس
فدجه في يوم عند الشراى نكراميه لم تشعر بعملها من قبل

وعند خلع الباعدة ليل الى الموكب بهر امامها . يكاد برنائو ان
يكون الرجل الوحيد المسائر خلف مصبة الاحمال . في لحظة
اقتربت فيها المربية ، كما او كان اسدا وليس حميلا . ذلك الذى
انطوى في المرافات . كان الناس يتروون في الاركان حتى لا يسطروا
الى حجب قبهاتهم او الى الركون عند مرور الموكب . بعد روال
المطر تعود الانوار لتفتح الواحد بعد الآخر . نظرت تيريز الى
أفئس وهو يسير مقفص العينين راقعا بين يديه هذا الشئ
العريب . كانت شفتاه تتحركان . مع من يتكلم وهو في هذا الحزن
العميق ؟ بعده مبشرة بنار ، انه . كما يقول . يؤدى
واحدة .

تفالت الاسابيع من غير ان تسقط قطرة واحدة من المطر وكان
برنار يعيش في رعب خوفا من الحرائق ، وقد عاودته من جديد
الموت . لقد احترقت خمس مائة هكتار في ناحية لوشا .

— لو ان الرب هب شمالا لضاعت كل اشجار الصوبر في
بابراك .

من كل جسد ، وان تسمم العربية نفسها من الحريق . لماذا
لا مدبح الخرافة في قرية اللاند لا انسى من انظم ان تختار السير
واما اشجار الصوبر طعاما لها ، ولا تحذر الرجال ابدا لا المباحث
لا يسى بين افراد العائلة حول اسباب الكارثة . هل هي سيجارة
ملعة ؟ ام هو الاحمال والثراسى ؟ لقد رأت تيريز في منامها انها
استعظت ثيلها وخرجت من الدار وتوجهت الى اكثر اجزاء المابة
لوردمان بهشيم والثمت سيجارتها وانتظرت الى ان ملأ الدخان
الكثيف السماء في العصر . . ولكنها طردت هذا الحاضر من ذهنها
فهي تحمل في دماغها حيا عمقا لاشجار الصوبر . ان مايعمل قلبها
من كره لى موجها الى الاشجار .

هاهى ذى في اللحظة الى تواجد فيها اعطته التي اقترعها . آى
تعطيل لها تقدمه الى برنار لا ليس امامها الا ان تعيد الى ذاكرته لا
نقطه بعد نقطة ، كيف حدث الامر . كان ذلك يوم الحريق الكبير
الذى اندلع في مانو . الرجال يدخلون الى غرفة الطعام حيث كانت
الاسرة ساقط الاطوار على عجل . بعضهم يؤكد ان النار تبدا
بعدها عن سانت كير والتمص الاخير يصر على ضرورة ذق
اجراس الكنائس ابدا بالخطر . عصارة الاشجار المحترقة تملأ
الغرفة .

ما كان عليه برنار في تلك اللحظة . لقد
يسمع الى البانات التي ينقلها اليه بابون ،
يسمى باهب يده المصممة المكسوة بالشمع فوق حافة الكوب
وقطرات « العاوى » تتساقط في الماء . تجرع الدواء دمة واحدة
ولم تنسه تيريز وقد اذهلتها الاحداث ، فلم تقل له انه ضاعف
الحرارة المعتادة . غادر الجمع المائدة ولم يبق الا هي فاحدث تشتر
حيات اللور الاحضر في تيريز واستراف عما يجرى . ان السكونية
التي دعر لها الجميع لا تمنحها في شيء فليس يعينها الا ما يدور في
ر . من ماس . لم تدق اجراس الكنائس معلنة حالة الخطر لا
ولم يلبث برنار ان عاد :

— هذه المرة كنت انت على صواب في عدم الانزعاج . . ان
الحريق في حبة ماو بعدا عنا .
ثم سأل :
— هل تناولت دوائي ؟

ومن غير ان سطر الرد على سؤاله عاد فأقطع من قطرات
الدواء في الكوب وشرب . ولم تلفظ بكلمة تكاسلا منها بلا شك
وارهاق . ما الذي تأمل فيه في تلك اللحظة ؟
— من المستحيل ان اكور قصدت عامده الى الترام السكوت .

ولكنها في تلك الليلة ، وهي واقعة الى حوار فراش برنار الذي
كان يتبعها امعاده وبكى ، ساها الدكتور يديهي عما حدث في خلال
الليلة ، لم تذكر شيئا مما رآته وهي على مائدة الطعام . وما كان
يسر لها لاعاد الشبهات عنها ان تلت معتر الطبيب الى كمية
الدرنبيج التي تناولها برنار . كان في استطاعتها ان تقول مثلا :

— لم اتنبه الى ذلك على التو . . كنا جميعا في ارتباك
جئوني بسبب خطر الحريق . . ولكن اؤكد لكم اني لم اتناول حبة
مضامعة . . . » لم نقل شيئا وطلت صامتة . هل شعرت في
نفسها بوجود دائم . . مجرد دافع الى الكلام ؟ ان ما حدث في مساء
الليلة . . .
قرارة نفسها مبهما غامضا في اول الامر ، واسكنه واصبح بعض
الوصوح في شعورها .

بعد انصراف الطبيب فطرت تيريز الى برنار وقد ا
يوم . هالت لنفسها .

— لا يوجد شيء ثبت ان ما حدث له كان نتيجة ذلك الامر
لماها ازمه من ازمات الهباب التي ازيد الدوزية على ازمه من عدم
وجود اقراص اخرى تدل عليها ، أم عليها حالة حمى حسنة . .
ولكن برنار سرعان ما عاد الى حاله الطبيعي بعد ذلك بيوم
» هناك احتمال كبير ان يكون ما حدث هو نتيجة ذلك الامر .
هل هي واقفة من ذلك ؟ كلا . انها تود ان استطاعت ان تسوئق
منه . » نعم . لم اكن اقهر ابدا اني عريسه اقراء عظيم . كل

ما هناك انه حبه استطلاع . ولما كان على شيء من الخطورة .
اردت ان اشفيه في نفسي . في اليوم الاول قبل ان يدخل برنار الى
غرفة الطعام استقطب في كونه قطرات من (الفول) . واني لاذكر
الآن انني كررت القول لتفسي : هذه المرة الوحيد فقط حتى
ما حدث . مرة واحدة وبمدها انتهى الامر .

هذا انعطاف من سرعته واطلق مبعره طوبه ثم عاد يستأنف
السير . مصباحا او ثلاثة في وسط الحفلة . انه محطه سالت
كثير لم يعد لذي تبرير شيء متحصة . لقد هوب في جوف
الجريمة الصميق فانتلمها الجريمة . اما ماحدث بعد ذلك فهو
معلوم لدى برنار بقدر ما هو معلوم لديها : لقد عاوده الياه فحاة
وسهرت تيريز الى جوار فراشه توعده ليلا وبهرا على الرغم من
حاله الاجهاد الشديد التي كانت تعانيها ، وعلى الرغم من عروقه
نفسها عن كل طعام .

لقد حاول برنار ان يحملها على تناول دواء القوار لتقوى
وحصلت من الدكتور يديهي على تذكره بذلك .
باله من سادح هذا

من احسنائه ، ولم تكن تعرف شيئا لهذا انتصار الواضح بين
نفس المرض ودرجة حرارته . لطالما لاحظ في الكثير من حالات
الباراميويد وجود النقص الهادي ، على ازمه من ارتفاع درجة
الحمى . ولكن ما معنى هذه التشنجات المتتابعة السريعة مع هذه
الحرارة التي تقل عن الدرجة العادية ؟
انها حالة حمى خبيثة . لاشك في ذلك ، هي الحمى ، ان
قيا مفسرا لكل ما رى

تقرب مدام دي لافراف في استحضار طيب كبير لاستشراجه
ولكنها لم تكن ترغب في احراج الدكتور يديهي هذا الصديق
القديم ، هذا بينما تيريز تحشى ملي برنار من اخطار الوهم والحواف
على حياته . ولكن في منتصف اغسطس وعلى اثر ازمه اكثر حدة

من سابقاتها أعرب الدكتور بيدمي من تلقاء نفسه . . . ثمته في
الأسبوعه سبعة رند .

من حسن الحظ بدأت حاله برئار في اسبوع من اليوم التالي
وما أن انقضت اسابيع ثلاثه حتى أحد الجميع يتكلمون عن
اسباعتها .

وقال الدكتور بيدمي :

— لقد نجوت باعجوبة . لو أن هذا الطبيب الكبير حضر الى
هنا لأحتضن نفسه بالبحر كله .

طلب برئار أن يتقل الى أرجلور موقعا أنه قد يشفى تماما
بعد حلول موسم صيد الحمام البري .

اجهضت تيريز نفسها كثيرا في تلك الفترة . بعد اصبحت
الـ

الحمل كله على كاهل المرأة النسيبه . مريضان وطفله في حاجة الى
خدمة ورعايه بالأضاعه الى المهام التي تركتها المصحة كلارا معلنه
تتطلب الحل .

بدل بيريز كثيرا من حسن النيه والاجتهاد في القيام بمهامها
بالخدمات التي كانت تؤديها للعشاء واليؤساء عن أهل أرجلور .
مطالب سيوت المزارعين وغنيب كما كانت تعمل عمتها بأعداد تذاكر
الدواء ، ودفعت من جيبيها لمن ذلك كله .

لم يفكر في التماسي على بقاء منزل طمجا مملقا . انه لم تعد
تمر بذاكرتها على جان أرعدو ولا على أي أنساب آخر في الوجود .
لقد اندمست بمفردها في بفق مظلم غليها فيه الدواء ، وها هي
ذوي قد وصلت الى أحلك مراحلها ، فيصحب عليها أن تقطعه بلا تفكير
كما يفعل الحيوان الأعجم يجب عليها أن تخرج من هذه الظلمات
الدائمة ، من هذا الدخان العالِك ، كي تصل الى الهواء الطلق ،
سريعا ، سريعا .

في أوائل ديسمبر عاود برئار الداء فاقعده عن الحركة . قام
من نومه صباح أحد الأيام وبه رعشة ، وقد جمدت ساقاه وانعدم
منهوا الإحساس . ما الذي حدث بعد ذلك ؟ جاء الطبيب من
بورديو لمعديم مشورته ، استعظمه بسبب دى لاتراف . فحسب

المريض ثم التزم الصمت طويلا . كانت تيريز مهتكة بالمصباح
ومقال بالبيت يذكر أنها كانت تشاحبه الوحه في لوس عطاء السرير
الأنص او أكثر منه بياضا . الدكتور بيدمي على حافه السلم ،
— لا يصل الا سوء شلل ، وقف تشرح لرميله وقد حصص من
هصوته بسبب وجود تيريز على مقربة تسمع . قال أن الصبدلي
دراكي إواه بذكورين من تذاكره مما برزوا ظاهرا . في
أحداهما اضعب البند الأبيض عساره « شرب فاء لر » في
الأخرى اصعب جرعات كيسره من البخوره بوزم
والديجيتالين والاكونيت . ه هاتار التذكر بان حا بهم رايو الى
الصدله مع كثرات غيرهما ، لقد سمع دراكي الحشيه بعد أن
صرف هذه الكميات الكبره من السموم . فهورل مسرعا في اليوم
التالي الى بيدمي بـ نوصحه الأمر . . . فهم أن برئار ممره هذا
كله ، كما تعرف تيريز ايضا ، جاءت عربة اسعاف وبعد على
حناح السرحه الى بورديو حيث دخل إحدى العيادات ، وبعد ذلك
اليوم اجذت صحتته تتحسن . بقيت تيريز بمفردها في أرجلور ،
ونكتها على الرغم من هذه الوحده كانت تلحظ من حواله سحبه
كسرى . انها كالحبوا امانع يستمع الى ضجيج كلاب الصيد
تقترب منه . انها تشمر بالمحب والاحماد كما لو كانت خارجة
لنوها من ساي حنوي مرس ، كما لو كانت ، وهي ملئ بعد خذلوا
من الهدف وقد مدب دها لتلتقله ، قد وجدت نفسها ملقاه الى
أدم الأرض مكسورة الساق . لقد جاء اليها ابوه في إحدى
الاسابيع في أواخر الشتاء متضرعا اليها أن تشرى نفسها مما
حدث . مارال في الامكان انقاذ كل شيء . لقد قسل بيدمي أن
يسحب شكواه — هو يقول انه لم يعد بلكر اذا ماكان قد كتب
أحدى هذه التذاكر كلها بيده . أما عن الاكونيتين والكوروفوروم
والديجيتالين فهو لايعكن أن يكون قد وصف منها جرعات بهذا
الحجم الكبير ، ولكن مادامت لم تظهر آثار لاي منها في دم المريض .

تذكرت تيريز هذا الحدث مع ابوها بالقرب من قراش الصبة
كلارا . نار الخشب في المدفأة قضى المحرره فلم يكن أي متوسما
ير — في صوه المصباح . كانت تشرح بصوت رتيب ، صوت الطفل

١٩٥٦ م. في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٧٦ هـ في مكة المكرمة
 التي جازها فيها اليوم فيقول:

— ما الذى يقوله ؟ ماذا يريدون منك ؟ لماذا يرفضون ؟

لها ، وكالطفلة العفيرة التي تستعيد ذراعي الدين راحت
في كلماتها :

انه رجل على الطريق - كاس الغلام حالكا فلم اتسنى وجهه .
م نقل الى اى مرمرة قطن - فى ليلة اخرى جاء واخذ الادوية .
سواء الحظ لم يره احد ممن فى البيت . .

9

وصل القطار آخر الامر الى مائت كلمه . لم يعرفه تيمز احد
منه برونه من العربيه . بينما ذهب باليوب لتسليم التلكره التي
اوقوت بها . ذات هي حول مبنى المحطه ، ومن خلال اكوام
زجاج الخشب المتراصة وصلت الى الطريق حيث وقفت العربيه
مظلمه .

هذه المرة أصبحت الآن مأوى لها على الطريق الملى بالآخايد
لحجر - فليست تحشى من مقبلة أحد - أب قصتها كلها التي

— ΛΣ —

أعادت بناءها في عناء وألم تنهار - لم يبق في ذهنها شيء من هذا
الاعتراف الذي أعدته - لا ، لم يعد لديها دفاع تبديه ، بل ولا
مسيب واحد تتذرع به - لعل أيسر الأمور عليها أن تصمت تماما
أو أن تجيب على قهر ما قد يلقي عليها من أسئلة - ما الذي يمكن
أن تحشاه ؟ تستر هذه اللله كسائر الللالي الأخرى ، ومستشرق
الشمس غدا - أنها على تفت من السجدة مهما حدث من أمر - وما
من شيء يحتمل حدوثه أسوأ من هذه اللامبالاة من هذا الانعزال
وه الموت بغد ما تتذوقه امرأة على قيس

حميضه گانبا دواب قيعت ۰۲

المستديان التي تظن الوادي الصمير حيث تهب الشمة العائرة

من تحت القمة الواقعة من الشمس ورئين الجبال ينبعث
صوت العلام نسيح :

هذه الصورة الموصفة طلبت عافيتي مخيلة تميز ، أنها كل ما بقي
من أياها الموصفة تريح فيها قلبها المضنى من الإجهاد . أخذت
مستمد كالأه كلمات بظمت ماعلمها على وقع عدو الحصان الذي
في الصورة .

لا تحدي من الحياة .. حياتي فارغة .. وحدة بلا حدود ..
لما لا يمر منه ..

شيء واحد عد بآمر بالسجدة ، ولكن برئاء ان يفعله . لو ان
قار صرح رابعيه من غير ان لقي سؤالا . . ! لو انها استطاعت ان

تتكبر برأسها على صدر انسان حنون . ! لو انها استطاعت ان
تكن في احضان انسان . . .

رأت الرتبة التي جلس عليها جان اويغيدو يوما من ايام الحر
الشديد . فقد خيل بها من قبل ان هناك مكانا في العالم تستطيع
عواطفها ان ترده في وسط الناس معها ، وربما يدرء بها
ويحسبها الا ، ان وحدها انسق بها من التصاق القروح جسم
المحروم :

— ما من احد يستطيع لي شيئا . . . ما من احد يستطيع
ضدي شيئا . . .

— هذا هو سيدي ومعه الاسه كلارا
قال بابون ذلك وشد على لجام احمراد . تقدم شحنا من
المرية . هذا هو يربار ، على الرقم مد هو قبه من شحم قد
جاء لعماتها ملبه يريد ان يعرف نسخة المحاكبة . انصت في
جلستها ، وعلى اسعد صاحبت
— لا وجه لاقامة الدعوى .

لم يقل يربار كلمة غير « كان الامر متوقفا »
لم اخذ يماون العمة كلارا على الوصول الى اعلى العربة
وامسك سده الخدم بينما نزل بالصور يعود على قدميه الى البيت .
توسلت العمة كلارا مجلس الزوجين وكان لابد ان يصرح كل من
في احدي ادسها ان الامر قد سوى تماما ، على انها لم تكن مرفقة
منه في ابوابه الا التي المهم الليل . وكما هي هادئة انقضت
تتكلم بدون انقطاع قات :

بعد كان هذا الاسلوب دائما اسلوب الحكام وهذه الطريقة
طريقتهم ، انها قضية ديرغوس تعود من جديد ، نعم ، اكذب ثم
اكذب فسيقتي من كذلك اثر ، نعم لقد كانوا اقواء حقيقه هؤلاء
الدياسون ولكن عيب الجمهوريين انهم لم يأخذوا دائما الحذر
ما ان تترك لهؤلاء الوحوش المدرين الفرصة حتى ينقضوا عليك
ويعملوا بك . . .

هذا . . . حين من تبادل الكلام فيما بينهما .
صعدت العمة كلارا السلم لائحة وفي يدها شعبة مصادة :

— هلا اويت الى قراشك ما تيريز . انك لابند محبدة . مستحدين
في غرفتك قدحا من الحساء وبعضا من لحم الدجاج البارد .

نظمتها . لو لم تكن صماء لا لتصقت ياذنها الى الباب المغلق . ولكن
لا داعي الى الحذر مع هذه المرأة التي تعيش حية في سميت القبور .
اطمات المحور الشمعه وهبط السلم تتحسس خطاها ووضعت
عينها على حرق قفل الباب . رأت يرتار يحرك اصباح من مكانه
قيدا وجهه واصبحا في الضوء وقد اكتسى رهبة وجدا . رأت تيريز
من ظهرها جالسة وقد امت على احد المقاعد بملابسها وقبعاتها
وعرست حذاءها الميتل للار فتعاقد منه البخار . وفي لحظة
من التمثلات ادارت تيريز وجهها نحو زوجها وفجرت المرأة المحول
موجة من الفرح فقد رأتها تبسم .

كانت تيريز تبتسم . وفي خلال العشرة الرمنية القصيرة التي
اخترق منها الى جانب زوجها المسافة البسيطة التي تفصل ما
الاسفل والمنزل اكتشفت تيريز فجأة ، بل ظننت انها اكتشفت
الشيء الوحيد الذي يجب عليها ان تعله . ان مجرد القرب من
هذا الرجل قد يبد فيها كل آمالها في شرح ترمها وفي الانصاف
عن فؤارة نفسها ، وما اقدرنا على تشويه الاشخاص الذين نحن
اعرف الناس بهم حيثما يكونون بعيدين عنا ! طوال رحلتها في
القطار احدثت فعلها بغير شعور منها تحاول ان تخلق في يرتار
الزحف المادري معها ، او على محاولة فهمها . ولكن ما ان التقت
عليه نظرها الاولى حتى بدا لها كما هو على حقيقته : انسانا لم
يضع يده قط . ولو لمرة واحدة في حياته مكار غيره . . .

تحت وطء اقدامه . لم تكن سطر الى زوجها وقد امتلا واسه
بالكلمات التي اعددها واستعد لها منذ زمن بعيد . تيريز هي
الاحرى كانت على علم بما ستقول . ان ايض الحلول هي دائما

تلك التي لم تفكر فيها ابدا . كانت على وشك ان تقول :

— سأحصى يا برنار . لا تشمل ذلك بي . سأحتج حالا اذا شئت . سأعوض في الليل . ان العانة لا تحصى لا ولا الظلمات . .
انها جميعا تعرفني . كل منا يعرف الآخر . لقد خلقت على صورة هذه المناطق القاحلة التي لا يوجد فيها كائن حي غير الطيور والحايير البرية الحائلة الشاردة . . ابى اقبل ان تلغطني من بينكم . احرقوا صوري جميعا . ولتجيب ابنتي حتى اسمي لاصبح في نظر الناس وكاني ما وجدت قط .
ها هي ذي تبرير نعتج معها لعلول :

— اتركني احصى يا برنار . .

عندما سمع برنار هذا الصوت اقبل متدفقا من آخر الحفرة وقد امتلحت اوداج وجهه وقال متلثما

— ماذا ؟ اتجربن على ان تجعلي لك راي ؟ ان مبدئي لك رغبة ؟
كفى . لا تلغظي كلمه واحدة . ليس لك الا ان تسمعي ، ان تلقي اوامري . ان تعملي وفقا لما اتخذته من قرارات فاصلة .

لم يعد مترددا في كلماته . انه يواصل الصارات التي اعددها في منايه من قبل . اخذ يوصل الاعايط وهو متكئ على حافة الدماء . انه يتكلم بصوت رهيب . اخرج ورقة من جيبه ونظر فيها . غارت تبرير الرهبة وشمرت بحاجة ملحة الى الضحك . ياله من مضحك ! انه مضحك . لاقمه لما يقوله منك الملهة الذرية الصغيرة التي تصحك سامعها في كل مكان الا في سانت كلير . انها مسترحلة . علم كل هذه الناس ؟ ليس مما يهد ايذا ان يزول هذا العسى من عداد الاحياء . لاحظت على الورقة المرتعشة انظاره هذا لم يمن بظافتها . لقد خلت اكمامه من الاساور فهو من هؤلاء الرمسين الذين تبدو عليهم الذرية اذا خرجوا بعيدا عن حوورهم والذين حياتهم لانهم رايوا ولا احدا ولا فكريا . ان المادة وحدها هي التي تجعلنا نعلق اهمية على حياة الانسان . لقد كان روسبيير على حق كما كان نابليون . . . ولينين ايضا . وآها وهي تستمع فاشد غصه ورفع عقيرته بالكلام فكان فرضا عليهما ان تستمع اليه وهو يقول :

— انا قاض عليك بين يدي . . مالك ناصيتك . . هل تفهمين ؟
مستطعيت الترات الى تصديرها الثالث . والا . . .

— والا . . . ماذا ؟ . .

لم تعد تفكر في التظاهر بعدم الاكتراث وانما اتخذت لنفسها لهجة السخدي والسخرية . اخذت تصرح وتقول :

— لقد سبق السيد العزل . انك شهدت في صالتي ولم يعد في وسعك ان ترجع في شهادتك والا حكم عينك بشهادة الزور .
المعكر ان نكتشف واقعة جديدة . اني اسلكها في مكتبي . هذه الواقعة التي لم يكتشف عنها بعد . ليس في الدعوى سقوط وث الحد .

ارعدت مرانها عند هذا القول قسائنه :

— ماذا تريد مني ؟

عاد الى حذركه يمحسها ، ومضت يمشي لوان ظلت تميز انشاءها تصب الى الصبب الرهيب المحم على ارجلور . ان الساعة التي تصيح فيها الدنكة مارالت بعيدا لم تحس بعد . وما من ماء جان ينساب في تلك انصحاء وما من سمة هواء تحرك قمم الاشجار الى الاعد لها .

— اسي لا اسير من اعتبارات شخصية . انا انزوي فلا قيمة لي وانما العائلة وحدها هي التي لها حساب يحسب . ان مصالح العائلة هي وحدها التي قلبي على قراراتي . لقد قلت ، من اجل شرف العائلة . ان احدث عدالة بلادي . سوف يحاكمني الله هو ذلك . . .

هذه الصارات الزمانية كانت تؤذي مسامع تيريز . كانت تود لو استطاعت ان تصرع اليه لتكلم في بساطة .

من المهم للعائلة ان يعتقد الناس اننا مارلينا مرتطين ، والا يبدو في نظر الناس وكأني غير مؤمن ببراءتك . ومن جهة اخرى انريد ان احاطل على بعضي بعدد ما استطع . .
— هل ايا احبك يا برنار ؟ .

ثم اضاف الى ذلك .

— اسمعيل سريع ولعل كل ما نلزمنا قوله مرة واحدة .
مستفاد غدا هذا السبت لتقيم الى حواره في بيت ديكويرو . لا اريد
معتك في منزلنا ، وجبات طعامك ستقدمها اليك باليوب في
قرنت . اما باقي حجرات البيت فسبحر عليك دخولها . على
اني لا احظر عليك انجول في الغابة . في ايام الاحاد سذهب معا
الى العذاس الكبير في كنيسة سانت كلير . يجب ان يراك الناس في
ذراعي . وفي الخميس الاول من كل شهر سذهب معا بالهجرة الى
سوق . ب . عند أبيك كما كان يفعل دائما من قبل .
— وهاري ؟

— ستروح مناري غدا . مع حادتها الى سانت كلير . وبعد
ذلك ستبحث بها امي الى الحروب . سنعقد لذلك سببا نفيه
اي الاعتبارات الصحية . هل كفت غاملين حقا اننا سوف
نتركها لك ؟ يجب ان نضعها في حضانة هي الاخرى . بعد واثني
وعندما تبلى الحادية والعشرين من عمرها ستصبح هي صاحبة
الملكية . وبعد الزوج قد تأتي دور البنت . . ولم لا ؟

وعمت تيريز وحسبت صرحه في صدرها :

— ان انت تصعد اتي من اجل ان تحار الصنو

ياله من غش عن بين الاله . الاسباب الحقة التي دعمتها الى
ما قدمت عليه من اسباب لم تكتشف واحد منها . وهما هو ذا اخترع
سببا آخر احطوا وادبها جميعا .

— طبعنا من اجل اشجار الصنوبر . . ! وهل هناك سبب آخر ؟
نكفي ان تستمرعي الاسباب جميعها واتحدك ان تجدي سببا غير
هذا . . وعلى كل حال فالامر غير ذي بال ولم يعنى شيء من ذلك
كله . لم اعد اسأل نفسي اي سؤال . طام يني منك شيء . نذكر .
كل ما يعني هو الاسم الذي تحملته . واسمها ! . بعد بضعة اشهر
عندما يصبح الناس جميعا مغمضين بعيام الوفاق بيننا . وبعد
ان تتزوج آل من دسوليم . . انت تعلمين ان آل دسوليم يظنون
مهله وانهم يريدون العكس في الامر . . عندئذ سوف استطيع العودة

الى الإقامة في سانت كلير . اما انت فتستيقن هنا . . مستصاين
يداء الاعصاب او نأى داه آخر . .

— مثلا . . ؟

— لا . . . ان هذا يلحق ضررا بماري . . . ولكن الاسباب
المضرة لي تقصنا . . . هذا هو الامر . .
دلت ميرير متمثلة :

— في ارحلوز . . حتى الموت . .

ثم افترت من النافذة معتنتها . في تلك اللحظة شعر برنار
بلقد حفيقيه . هذه المرء التي طالما سادته وادنته ، ها هو ذا في هذه
الليلة مد مهرها . واي فخر ؟ انه يشعر بالكبرياء ينميت من اعتداله
لطالما مالت له مدام دي لاراف انه قدس . وتطلد اشادت العائلة
كلها بسل صاعه . انه اليوم يشعر للمرة الاولى بهذا النيل ويلمسه .
حيثما يلعبه ، وسط الاف الاحباطات . وهو في المصحة . يا ا . .
التي اقربتها تيريز لم تكلمه كثيرا من الجهد تلك الشجاعة التي
اظهرها واحذيت له المديح والاطراء من الجميع . ليس هناك شيء
يشتمل فيه الخطر الحقيقي بالنسبة لارولك الذين لا قدرة لهم على
الحب .

ولما كان برنار مجردا من الحب فهو لم يشعر الا بتلك العرجة
المربحة التي يشعر بها المرء بعد الافلاك من الخطر الداهم الميت .
فرحه الرجل الذي يعلم انه قد عاش سنوات طويلة من غير ان يدري
في صحته مجنون ضيف . ولكن برنار في هذه الليلة كان مدركا
لشموه بوقته . لقد تفلت على الحياة . وتحقق له في اصحابه
انه ما من عنة تقف في سبيل العمل المستقيم الذي يعكس تفكرا
مليحا . حتى بعد تلك المأساة كان على استعداد لان يؤيد افول
العائل بال المرء لايشقى ابدا الا بخطئه ان اتقى المأسى وابعداها
انرا . ها هو ذا قد سواها كما يسوى اية مشكلة اخرى . لن يعرف
احد شيئا مرييا مما حدث وستتقد المظاهر البادية امام الناس
فلن يلومه بعد اليوم احد ولا يرفى لحاله احد . هل يمكن ان
يعبر الرجل برواجه من امرأة معوجة قاميه عند تكوب الكلمة
الاحيرة في يد الروح المكوب . ان في حياة الم . . حاتب .

واقعة امام النافذة - كانت ترى - نانا من حصار
البر من البيضاء وتشم رائحة ازهار الكروان التي يجمعها ساج
من غائلة القلعان ، وعلى البعد كانت تقوم اشجار الطوط السوداء
تتشرب ستارها على الصوب .
ولكنه قريب - كانت تميز تعرف ان هذه الاشجار تحيط بالبيت
من كل جانب حراسا اشداء - كانت تعلم ان هؤلاء الحراس الذين
تسمع على البعد شكواهم المكبوتة سيرونها وهي تدل طر الى فصول
الشتاء القارصة ثم يرونها وهي تحرق طواف فصول الصيف
المثلثة - سيصيحون ويمسكون شهداء على احتراقها العاسي
الطير .

هل تم نقدك اذ قادر على استيعابي قسرا عني !

— يا للبهائية ! .. أنتى ادريك .. لانظاير بالقصور ههه
 ليست من طبعك . لن تعرض العائلة لمثل هذا امار . انى مطمئنة
 نعاما .

عبدالله اكتفى برتار لويبالرجل العاقل الوزير وقال لها شارحا
من فرارها هو بمثابة اعتراف منها بالجريمة . وفي هذه الحالة لن
يحقو العائلة من العار الا بتر العضو المصنف منها . بالفائه بعيدا
. بانكاره علنا امام الناس والتبرؤ منه . ثم قال :

— بل ان هذا الحل هو الذي ارادت امر في اول الامر ان
تستعصم به . تصوري ، لقد اوشك بنا الامر ان نترك العدالة
لأحد مجرميها . وولنا ما يتعلق بان ومباري . ولكن ما زال في
الامر متع . لا تمنحني الرد . انك اتركك الى غد .
قالت تيريز بصوت مكبوت :
— سسني الى ابي .

۱۰۰
 ۱۰۱
 ۱۰۲
 ۱۰۳
 ۱۰۴
 ۱۰۵
 ۱۰۶
 ۱۰۷
 ۱۰۸
 ۱۰۹
 ۱۱۰
 ۱۱۱
 ۱۱۲
 ۱۱۳
 ۱۱۴
 ۱۱۵
 ۱۱۶
 ۱۱۷
 ۱۱۸
 ۱۱۹
 ۱۲۰
 ۱۲۱
 ۱۲۲
 ۱۲۳
 ۱۲۴
 ۱۲۵
 ۱۲۶
 ۱۲۷
 ۱۲۸
 ۱۲۹
 ۱۳۰
 ۱۳۱
 ۱۳۲
 ۱۳۳
 ۱۳۴
 ۱۳۵
 ۱۳۶
 ۱۳۷
 ۱۳۸
 ۱۳۹
 ۱۴۰
 ۱۴۱
 ۱۴۲
 ۱۴۳
 ۱۴۴
 ۱۴۵
 ۱۴۶
 ۱۴۷
 ۱۴۸
 ۱۴۹
 ۱۵۰
 ۱۵۱
 ۱۵۲
 ۱۵۳
 ۱۵۴
 ۱۵۵
 ۱۵۶
 ۱۵۷
 ۱۵۸
 ۱۵۹
 ۱۶۰
 ۱۶۱
 ۱۶۲
 ۱۶۳
 ۱۶۴
 ۱۶۵
 ۱۶۶
 ۱۶۷
 ۱۶۸
 ۱۶۹
 ۱۷۰
 ۱۷۱
 ۱۷۲
 ۱۷۳
 ۱۷۴
 ۱۷۵
 ۱۷۶
 ۱۷۷
 ۱۷۸
 ۱۷۹
 ۱۸۰
 ۱۸۱
 ۱۸۲
 ۱۸۳
 ۱۸۴
 ۱۸۵
 ۱۸۶
 ۱۸۷
 ۱۸۸
 ۱۸۹
 ۱۹۰
 ۱۹۱
 ۱۹۲
 ۱۹۳
 ۱۹۴
 ۱۹۵
 ۱۹۶
 ۱۹۷
 ۱۹۸
 ۱۹۹
 ۲۰۰

مفتی محمد رفیع الدین صاحب دہلی

بالتعرف على طباع كل الذين يعيشون معها . ذلك ان
تتمكون كثيرا بالمبادئ . اهم لاشعرون
لنفسه التي تشتت عليها تميز . انها وحشي

تعتقد المدانة في ذلك شيئاً

امسك المصباح بيدك ورقعه فاقضاء بتور» ظهر تيري !
- الا تصعدن معه ؟

ما نطلب اليه العجود ايتسم لها ق تكلف واجتهد بلم

على الثوبين - ولكنها قاومت كما يقاوم الكلب المجرب عندما يراى
أبعاده عن قرائش سيده المحضر - وضع يركاز الصباح على الأرض
واقترب يمينه من اذن العمة كلارا يصرخ فيها أن تبرز تشعر الآن
بالراحة ولكنها تريد أن تبقى بمفردها لحظة قبل أن تذهب لتنام.
قال لها :

هذه هي ان هذه احدي زوجاتها .

اراد على تيريز الا في الاوقات التي تريد فيها المودة الشابة ان
يتم بمفردها . وكثيرا ما كانت المجبور تشعر بمجسود أن تمنح
الباب على تيريز أن وجودها قد أصبح غير مرغوب فيه .

الى العمة التي تشغل فوق الصالون - دخل خلفها برفار واهتم
باشغال شمعته فوق المتصدد ثم جلها في جيبها وانصرف . لم
ترفع العمة عينها من برفار ، قما من شيء على وجوه الرجال لم

سيجارة . اسرمت عائدة وقد تخلخلت ساقها وتطلمت انقاسها
حتى انها لم تقو على حلق ملابسها فارتسبى فراشها وطلت مستسلمة
مصحة العنق .

٩٠ -

في الصالون - تيريز حائسة في الظلام - بعض من النائمات
حيما بين رمال المدفاه - الآن وقد مات الاوان احذب تيريز من ذاكرتها

الاعراف في هذه القصة في الواقع - التي ينت تعاصيها بعضه
مهارة - لا يرتبط بالحكمة والواقع اي رباط - تلك الاحميه التي
حماءه - ما هل في ذلك مايقام له ادبي وزن ؟ لا - لقد استجاب
الى دنور عميق قانون فاس لا يرحم - لقد عجرت عن القضاء على

تلك العائلة ، اذن قلقت عليها هي . . ايم على حق اذ تعتبرها
في احارج

بدله الى أن يدركهم الموت - لعلمهم وحدوا في الاعتبار عودا
عائدين في احصاء الاسرة تلك الام القوية العاتية - اما انا . . .

بهضت تيريز من جلستها وفتحت الباب فخرجت
اما انا . . . فلا . . .

عاشروا عليه وهو يوشك أن يموت جوعا وسط
وأنة تيريز مكيلا بالحديد فوق عربة ملأى بالآذ

قما بعد انه مات على ظهر السفينة قبل ان يصل الى المنفى في
كاين السفينة . . المني . . اليسوا هاندين على ان مسلحوها
الى العدالة كما قالوا ؟ هذا الدليل الذي يزعم برنار انه في يده . .
كذب لاشك . . مالم يكن قد عثر في حبيب المعلم القديم على تلك
السمكة المحتوية على السم .

عزمت تيريز على التأكد من الامر . اندفعت بتحمس موانع
اقدامها على السليم . كلما ارتفعت صاعده اردادت الرؤبة بسبب
قوة العجز الذي بدا يبرم الزجاج الملوئ . . هذه هي على ردهة
الحاصل الاعلى . بنت انحرابه الى خلف في جودها المراس المدمعة .
انها ملاهى عبيته بائنة . ولكنها لا تعلم لاحد من المسكين لانها

كثيرا ما كانت العمه كلارا تدرس في هذا الجيب اشغال الارء التي
كانت تحكمها في امر من المامى عندما كانت هي الاخرى مع في
المحايء المشرقة بسطر مرور اسرانه العمام النرى . مدت تيريز
يدها الى الجيب واخرجت منه اللعامة المحومة بالشمع

كلوروفورم . ٣ . حراما . - اوفيس مسحق رقم ٢٠ -
ديجيسالى مخلوط . ٢ . حراما .

اعادت تيريز قراءة هذه الكلمات وهذه الارغام . هذا هو الموت
انها كانت دائما بخاف من الموت . المهم في الامر الا سطر الانسان
الى الموت مواجعة . ويكفى ان بعد ما يترجم لذلك من اصمال : ان
يصب الماء وان يدس فيه المسحوق وان يشرب ذلك دمه واحده
وان يستلصق الى اعراض وان يثق غيبه . هذا كل معنى الامر . ولا
دا . ذلك . لماذا الخوف من هذا الرقاد ؟ الس

شانه كتمان اى رقاد آخر ؟ انها ترتجف ولكن ذلك من برو
المكر . هبط تيريز السلم وتوقفت امام الحجره التي
مارى . شبح الحانده تنمته منها كجوار الدواب . دفعت تيريز
ابواب فوات الصوء امامت سبلل من خلال النافذة
الحديثى الصغير شمع باصا وسط العتمة . فضلت دقيقتان
س . ن شى العطاء وراس صغر يعض في الوسادة اللسة .

ع . تلك الاذن الكبيرة : انها اذنها هي . ان الناس لعل
حي هذه صورة منها هامده بائنة .

- اى ذاهبة . . ولكن هذه القطعة متى ستلقى ومعها ذلك
المدر كله الذى سوف تنفذ حتى آخره من غير ان تعلمت منه بيرة

حل هي الطباع ام البول ام حل هي قواتى الدم التى لا تحيد
ولا تحول ؟ لقد قرأت تيريز ان هناك من يؤسساء الذين قتلهم
البأس من حمل اطفالهم الى الموت معهم ، وكان العقلاء من الناس
يلعبون بالخريفة جانبيا وهم يتساءلون ؟

- كيف يمكن لمل هذه الاشياء ان تحدث ؟ .

اما تيريز فهي وحنى شاعر ، ولذلك شعرت في قرارة نفسها
ان هذا شىء جائر الوقوع وانه يكفى لحدثه ان . . . ركمت تيريز
الى جوار العرائش الصغير وبشفتها مسبت اليد الرقيقة المطروحة
ادخنتها شىء حار يبع من اعماق كيانها البعيدة وظهر الى
وسال حارا كاجمر على خديها : يصع عبرات بلسة ! . هي
الى لم تيك ايدا . !

حجرتها . ملاك كوبا بالماء واولت الشمع عن النعامة ثم ترددت

كانت النافذة مغلقة . صياح الديكة كانه يمزق الصبايح

الحقول يعمرها الفجر يبدو مغلقة بائنة . كيف يمكن ترك هذا
النور كله ؟ ماهو الموت ؟ لا احد يدري ماهو الموت . تيريز ليست
على نه تامة من النساء . انها لا تدري عن يقين هل في عالم النساء
اناس يعيشون ؟ تيريز تكره لنفسها الشعور بهذه الرهبة ، وهي
الى لم تردد من قبل في القذف بالآخرين الى جوف الفناء ؟
ها هي ذى الآن تردده وتثور عليه . كم يخجلها هذا الجبن من
نفسها اذا كان موجودا هذا الكائن الاعلى !

تذكرت تيريز في لحظة سريعة يوم عيد العفراء ، وذلك الرجل
الوحيد اتعرق في المسوح الذهبية ، وذلك الشئ الذى يحمله

عليه .. مادام هذا الكائن الا على موجودا فليخرج تلك اليد الالامعة في
ان يبعد السهم وبمضي الامر .. . واذا كانت مشتتة ان تهاجر
المصر تلك امسى النائية العبياء فليرض على الاكل ان يقبل في
بحيه ورحمته ذلك ابو حش الذي هو حاله . صحت تيريز في
الماء شيئا من الكلوروفورم ، فهي مادة ليس اسمها غريب عليها ،
ولذا كانت اقل ارهاق لها فهي توحى بصوره من صور السموم .
عليها ان تتصلح ، فقد حذر اهل المنزل يسبقون . هاهي ذى الحادثة
بالوثت قد فحبت عوارض النافذة في عرفة العمه كلارا ، ماذا
دعاهما حتى تصرخ على هذا النحو للمرأة ؟ اليسب . بما هو
لها من عادة ، تسطح ان تعاهم معها على خير وجه عن طريق
تجريك الشبها وحدها ؟ اصوات ابواب تعاق وتفسح وحطوات
سريعة متلاحقة هنا وهناك . اسرعت تيريز بالماء رداء على المتصدرة
تجعى تحتها غلب السموم . دخلت بالوثت عليها موالدة
مائت 'لستي' .. . لقد وجدته . لا حراك على قراشها ...
بملابها كاملة .. . لقد انتشرت الروده في جسمها ..

على الرغم من كل شيء وضموها مسحة بيى اصابع الرندمة
المجوز ووصموها صليبا على صدرها . المراعون يدخلون ويركعون
ثم يصرفون بعد ان يلقوا نظرة حابله على وجه تيريز الواقعة الى
وجانب الفراش الذي به جثه المصور . تعلمهم يقولون
- من يدري ؟ ربما كانت هي التي فمت هذه الفعلة ايضا .. ؟
ذهب برنار الى سائت كثير لافلاخ النساء الى الصائله ولمصل
الترميزات اللارمة . ربما قال في نفسه . لقد جاء هذا الحادث
في موعده لتحويل الانتباه عن الموضوع الاحمر الحظير .. نظرت
تيريز الى هذه الحثة .. هذه الحثة المنيقة المحلصة الى ركعت
تحت قدمها في الوقت الذي كاتب على وشك ان تلقى نفسها بين
احضان الموت . هل هي انصدقة العمه ؟ ام هل هي التوارد
المعجب في الخواطر ؟ لو ان انسانا حدثها في تلك اللحظة عن وجود
ارادة ذاتية ، لبرت كتنفها استنكارا . يقول الناس بعضهم لبعض ؟
- هل راسموها ؟ انها لا تتظاهر .. حتى مجرد الظاهر ..
باليكاه ..

كانت تيريز في ذلك الوقت تحادث من قلبها تلك التي لم يعلما
لها وجود

- كيف يمكن الحياة لحنة هامدة بيى يدى اولئك الذين
يكروها .. ؟ كيف يمكن الا تحاول القتل الى ماوراء ذلك .. ؟
في الجارة احتلت تيريز مكاتها وقامت بدورها . وق يوم الاحد
التالى دخلت الى الكنيسة مع برنار الذي بدلا من ان يتسلل مسى
جوانب الساحة كما هي عادته اخترق قلبها الاوسط في عمود
وتظاهر . لم ترع تيريز عن وجهها قناعها الاسود الرقيق الا بعد
ان جلست على مقعدها بين حمايتها وزوجها . عمود متصب
يحجبها عن نظرات الحاضرين وليس امامها شيء غير هيكل الكنيسة
ها هي ذى محاضرة من كل جانب ، الجمهور من خلفها وبرنار الى
يمينها ومدام دي لا تراف الى يسارها وليس امامها الا هذا الطريق
الوحيد .. الطريق السالك المتروح .. كالحلبة امام الثور الهائج
المدفع من وسط الظلام .. هذا المقام الصرغ حيث يقف رجل
مربل بالسواد بيى طلعى وقد اراح ذراعيه قليلا واخذ يمشم
يكلام غير ممنوع .

- ١١ -

في المساء عاد برنار وتيريز الى ارجلور في يست دكتورو الذي
ظل مند سواب في حكم المجوز . الدائق يجتمع فيها ابدح
وانواع لا يلقى باحكام والرياح تمر مصفرة من تحت الابواب الس
حرمها الغدران . وبكى الحريف كان في تلك السنة رحيما فلم
شك تيريز كثيرا من هذه المصاعبات . عمليات الصيد تسجر برنار
كل يوم حتى المساء . وما ان يعود الى البيت حتى يذهب الى
المطبخ ويتناول عشاءه مع بالون وثروجته ، سندا تيريز في غرقها
تسمع الى صوت الملاقي والى اصوات الاكلين الرئيسة . ان الليل
نقل مسرعا في اكتوبر . الكتب القليلة التي استخدمها من اليوم
المجاورة سقى لها ان حراتها فهي لا فيعة بها . برنار لم يستحب
لقلب الحصول على بعض كتب من بورديو . لم يسمح لها الا بتحديد

نقلها المصاب من الطابق . ما أن تذهب باليد إلى بقايا الطعام
القبيل حتى يسرع تيريز إلى إطفاء المصباح والذهاب إلى الفراش .
كم من الساعات ظلت هكذا ممددة قبل أن تأتي اليوم لانقاذها

الزواجر والرياح . هذه الشكوى اللانهاية المسعته من قمع الأشجار
تحمل لها عذوبة صوت الإدمى . استسلمت تيريز لهذه الهدوء
الهادئة الصامتة .

لم تكن تلك الأسابيع الطويلة الحرس لمع تيريز من الهدوء
إلى المرحل قبل وقت العروب أحيانا . فرمما وقع لها أن رأت إحدى
الأمهات وقد أمسكت معاد بيد صغيرها عند مرور تيريز وأسرع
به بدفعه دفعا إلى داخل بيتها . وربما صددها أحد الرءاء فحسبه

لو أنها ضاعت وفرت وسط خضم الناس في بلدة كثيرة السكان .
لم بعد يوجد في أرجاء راع واحد إلا وعرف قصصها . أهم سجون
إليها حتى موت العمه كلارا . لم يكن في استطاعتها أن تحمل عذابي
بيت ، وكان عليها أن تصرخ من بيتها متسللة من خلال باب حلق
وأن تسير بعيدا من صوت القسوة . لولا تلك العزيمات المتوهم على
البعد لما استطاعت أن تطفى بنفسها في الطريق الحائس حيث كانت
تهدول مسرعة وقد امتلا عليها وجلا كانهرسه المطاردة وتسلق في
الأحراش هربا إلى أن تمر إحدى الدراجات المتسككة .
أيام الأحاد في كنيسة سانت كلير لم تكن

الرهبة ولكن بشيء من الراحة والانفراج . يبدو أن رأى الناس في
القرية قد بدأ يحول قللا إلى جانبها . لم تكن تدرى أن أباه وأن
آن ذى لا تراف قد دأبوا على تصويرها في هيئة الصحبة
التي أصابته ضربة قاتلة .

في الليلة الأخيرة من أكتوبر هب ربح عاتية قادمة من المحيط
لفعلت تيريز قمع الأشجار في عتف ولزمن طويل . . استسلمت تيريز
إلى غفوة تشبه النوم وهي متنبهة إلى أصوات الزويدة الصاخبة

- 100 -

في الصباح الباكر لم تكن تلك الأصوات هي التي أيقظها . فتحت
النافذة ولكن الحجرة ظلت معتمة . المطر الرميج الكثيف يهمر
ويسيل على قرميد البيوت وعلى أوراق اللوط العسلية . لم يعد
برنار البيت في ذلك اليوم . اندفعت تيريز تدخن وتغنى سيجاريتها
ذهبت إلى وردة السلم فسمعت زوجها يتنقل من غرفة إلى أخرى
في الطابق الأسفل . رائحة غليونه وصلت إلى داخل غرفتها حيث

هذا هو اليوم الأول من فصل المطر والزواجر والأعاصير . كم قد
لها أن تمشي إلى جانب تلك المدفأة التي تموت فيها النار لا جواب
العزبة تساقط فيها أوراق الظلاء من فصل الرطوبة وعلى حوائطها

بها الصالون في سانت كلير كما ترى المسامير الصدئة التي لم تعد
تحمل شيئا . على المدفأة في داخل إطار مثلث الأمام من الصدأ
الرخيص ، تتجاور بعض الصور العتوخرافية البها . كما لو كان
الموتى الممثلون منها قد ماتوا هنا للمره الثانية . هذا هو أبو برنار
وجدته . وهذا هو برنار نفسه واضعا على رأسه قلنسوة اسحارين
علما أن تمشي في تلك الغرفة هذا اليوم بطوله وبعمده أسابيع وبعد
الأسابيع شهورا . .

عندما أجبل المساء لم تعد تيريز تطبق صبرا . فتحت الباب
بعده ثم هطعت السلم ودخلت إلى المطبخ . رأت برنار جالسا على

من نظيف السدقة التي كانت في يده ، أما زوجته بابوسه فتركت
شعل الأترة يسقط أمامها على الأرض . نظر إليها لاثتهم نظرة
يجعلها تسأل :

هل أنا أحييتكم ؟

.. أن دخول المطبخ محظور عليك .. ألا تعلمين ذلك ؟ ..

لم تنس بيت شفه وكرت راجعه نحو الباب . ولكن برنار

استداعها وقال لها :

.. مادمت أراك الآن .. أود أن أحبك .. وحدتي هنا لم تعد
له داع . لقد استطعنا أن نحلق في سماء برنار من أهد .

كسماها السكتين اصفرارا ألا وينتفض الطفل سليما معافا . وأحت
تعد لمفسها بيتا على شاطئ البحر . أنها ترى في حلمها الحديقة
والشرفة وتعلم الجحرا وتحتض كل قطعة من قطع الأثاث . وصحت
من المكان أساسا لتضع فيه مألوفها من الأثاث في سائت كثير . أنها
تناقش نفسها في احتسار الماشي والألوان . لأثت هذه الحروف
أن يتلاشى وإن تنوء في الضباب فلا يبقى منه غير عرشه فوق مقعد
في مواجحة البحر . هاهي ذى تترير جالسة تسند رأسها إلى كف
هاهي ذى بهض عند سماع الحرس المؤذن بحلول وقت الطعام . أنها
تسير تحت الحيلة المظلمة . شخص ما يسير إلى جوارها وحدة
يحتصمها بين ذواعيه ويجذبها إليه . تحببت تيريز أن الفلة مادرة
على وقف سريدي الرمن وإن في الحب تحفظات لا نهاية لها . أنها
تتحيل ذلك ولن تعرفه أبدا . ها هو ذا المتزل الأبيض الناصع سد
قائية أمام نظرها وهاهي ذى السر وقد أحدث رافته ثن وتمرح .
الزهار الهليوتروب التدية تملأ الفراغ بصيفها . سوف يكون المشاء
فترة هجوع وراحة قبل الهناء المسطر في المساء والليل . هذا الهناء
الذى لا يمكن النظر إليه مواجحة لما فيه من قوة تطفئ على ماو انقلب
من قوى وانعمل . هذا هو الحب الذى حرمت منه تيريز أكثر مما
حرم منه أى محبوب آخر . لقد استولى عليها هذا الحب وعمل
الى قوارة كإنائها كله . سمعت تيريز أو كادته . وهى في غمرة هذا
الشعور اللذيد . صراخ باليوت . ماذا تقول هذه المحووش الشمطاء ؟
أن مسير برار سوف يصل من الحنوب في يوم أو ق آخر من غير
أخطار سابق .

— فب الذى سوف يقوله عندما يرى تلك الحجرة ؟ أنها حقا
كحظيرة الحناير .

جلست تيريز على حافة فراشها ونظرت في رهب الى ساقبها
الهيكلتين . أن قدمها بيدوان مطمعتين . لفتها باليوت في رداء
كثيف ودفعها الى أحد المقاعد . محبت بالقرب منها من سحائرها
ولكن يدها سمطت أضياء في الغشاء . شعاع بارد من أشعة الشمس
يدخل من فجوة المائدة المسوحة . باليوت تحرك جاهدته وى يدها

مكتسة . أنها تلهث وتشمع بالسحاب والألعاب . هذه هى باليو .
أنها مع ذلك طيبة بقلب رحيمة . ألم يذكر عنها أفراد العائلة بها
في كن عند من أعياد الميلاد يدرف الدمع سحوبا عليها به بحرير
الذى فقت الأيام في تسميته ؟ أنها اليوم حاضمة أشد انحبس على
تيريز لايه لآئرد عليها . أن الصبغ في نظرها يعنيس من الإهانات
الكبرى . أنه علامة من علامات الاحتسار .

ولكن تيريز لم تكن مادرة على الكلام ولم يكن صحتها يارادها .
وعندما شعرت حول جسمها مصاد الملاءات انطبعة ملت أنها
قالت كلمة الشكر والاعتناء . ولكن صوتا ما في الواقع لم يخرج من
— هذه الملاءات . . لي تحركتها بعد النوم . .

حبيب تيريز أن تكون الحديقة عد أخذتها سحائرها فمكت
يدها الى المصعد تحبسها . لم تكن السجائر في مكانها . كيف
لها أن تعيا من غير أن تدخن ؟ كان لزاما عليها ألا تكف أصابعها
عن مس هذا القيد الصغير الجاف المنهيب . وكان لزاما عليها بعد
ذلك أن تشم الى مالا نهاية رائحة هذا الصباغ الذى يملأ السرفة
والذى مضه معها ثم عاد فلفطه . لن تصمد اليه باليوت إلا في
المساء . ليس أمامها إلا أن تقضى فترة ما بعد الظهر كلها بلا تدخين .
أعلمت نفسها . بينما أصابعها المصغرة لم تكف من حركتها المعتادة
حول السحارة التى لا وجود لها .

في الساعة السابعة دخلت باليوت وفي يدها شمعة . ووضعنا
على المصعد أوعية اللبن والموود وعطلة من الحيز لم قالت ؟
— أأست بحاجة الى شيء آخر ؟

توقعت في حيث أن تطالها تيريز سحائرها . ولكن تيريز لم
تحول وجهها عن الحائط الذى انصص به .

لا شك أن باليوت قد أهملت أحكام غلق النافذة . إذ انفتحت
لم تعد تيريز في نفسها من القوة مايمكنها من أن تدفع منها الأعطية
ورهب جارية حافية القدمين الى الساعة لتفلقها . انكشبت بجسمها

وجدت الفطاء حتى عينيها وظلت ساكنة تلقى الهواء القارص
على جنبها وعلى جنبها . كانت الأصوات الهائلة المنبعثة من
أشجار الصوبر تملأ أرجاء كلها ، ولكن على الرغم من هذا الهدوء
الذي يشبه هدوء المحيط كان الصمت هو كما هو ، صمت أرخولوز
الرهيب . قالت تيريز لنفسها ، أنها لو كانت تحب الآلام حقيقة لما
أدست إلى هذا الجحيم تصمت أغفلتها . حاولت أن تريح هذه الأعطية
عنها قليلا ، ولكنها لم تتحمل العرض لهذا الصنيع غير ثواب قليلة .
بعد ذلك تحبب في هذه المحاولة لمدة أطول كما لو كانت في لعبة
تمارسها ، وهكذا من غير أن تتركز على الأمر أرادها الواعية أصبحت
آلامها تسببها وعراها الوحيد ومن يدري لا ربما صارت هذه
الآلام سبب بعالمها في هذا الجحيم .

- ١٢ -

- خطاب من سيدي .
لم تعد تيريز يدها لتناول الخطاب الذي تقدمه لها بالنوت
لعددت الخدمة تعول في إصرار أن سيدها يحظرها دائما بدومه
والها تريد أن تتأكد لئلا في أعداد كل شيء .
- لو سمحت لي سيدتي بأن أقرأ . . .
قالت تيريز .

- أقرئي . . . أقرئي . . .
ثم تحولت بوجهها إلى الحائط كما كانت تفعل دائما في حفرة
الحدادة . ولكن الصيابة التي كانت تلفظها بالنوت بصعوبة
آخر جها فجأة من سياتها
- سرني أن أعلم من التقارير التي يرسلها لي بالون أن كل شيء
يسير من خير وجه في أرجوز . . .

كان برنار ينسب بأنه سوف يعود بطريق البر ولكنه نظرا لأنه
قد يتوقف في مدن عديدة فهو لا يحدد بالضبط تاريخ وصوله . . .
- لن يكون ذلك بعد يوم ٢٠ من ديسمبر بحال . لا متجبرا
إذا ما عبط عليك فجأة ومعنى أن وأين ديجلهم . لقد أعلنا
حماوتهم في يوليو ولكن الأمر لم يصيب رسميا بعد . أن أين
ديجلهم يتسكك بصراحة رؤسك قبل ذلك ، وهو يؤكد أن ذلك من

- ١٠٨ -

بأن الباقية ليس إلا . أما أنا فاعتمادى هو أنه يريد أن يكون لنفسه
رأيا حول ما أمب به أدنى . لك من الذكاء ما يكفي للخروج بكرامتك
مليمة من هذا الاختيار العسير . تذكرى أنك مريضة وأن روحك
المصوبة مسهارة . أنى على كل حال اعتمد عليك في ذلك ، وسأعرف
كيف أقدر مائديته من جهد لهدم الإصرار بهناء أن ولهدم أفساد
هذا المشروع الذي يحقق مصلحة العائلة من كافة الوجوه . كذلك
لن أتدعمد اللزوم في معامتك عقابا صارما عن كل محاولة تحرر .
تصبر منك . على أنى على يقين من أنه لا يوجد ما يخشى منه من . . .
الخاصة .

كان اليوم جميلا صافيا باردا . نهضت تيريز مستسلمة لأوامر
بالنوت وأسندت إلى ذراعها لتسير بضغ خطوات في الحديقة ،
ولكنها لم تستطع إلا أن تترك صدر الدجاجة الذي قدمته لها
الآن يصعوبة كبيرة . عشرة أيام باقيه قبل أن يحل يوم ٢٠ ديسمبر .
عكرت بالنوت لو أن سيدها قبلت أن تحرك جسمها . لكن في
ذلك ما يكفي لتستردعونها عند حلول التاريخ المنتظر . قالت الحامدة
ليالون روحها .

- لا يمكن القول أنها تعاند في ذلك أو تصدر عن نية سيئة . .
أنها تحاول إلى أقصى ما يمكنها . أن سيدي برنار خير بوسائل
تدوير الكلاب العتيقة وتأديبها . أنت تعرف طعنا كيف تتحول
هذه الكلاب عندما يضع في عنقها السلاسل والأغلال . لم يتطلب
منه أمر زوجته هذه وقتنا طويلا ليحولها إلى ما يشبه الكلبة الهادئة
المطعمة . ولكنه بفعل خيرا لا يقتصر بهذا المظهر الحداد . . .

ذلك أن تيريز شرعت فعلا بتبديل جهدها للتخلص من الأحلام
ومن المعوات ومن الفناء . كانت تكلف نفسها مشقة السير والأكل
وخصوصا مشقة استعادة ذهنها وتفكيرها والنظر بعينها رأسها
إلى حقائق الأشياء والأشخاص . أنها تعود إلى الأرض التي أشعلت
هي نفسها التيران فيها ، تعود لفظا بإقداها ومادها ولتسير بين
صوراتها المحترقة السوداء . سوف تحاول أن تتكلم وأن تترسم
في وسط هذه العائلة . . . عائلتها .

- ١٠٩ -

بالبحر حتى فكر في اول الامر في محكمة الحانات . ولكن تكبره هذا لم يكن سببه المحرمة التي اقترعها تيريز ، وانما الخطر السريع الذي مر بذمه واعاد الى ذاكرته تلك الصورة المألوفة المخططة من تجربة ابنتي ياروبار . والتي ترين مع غيرها من الصور الكثيرة مثيلا لها انحواط انحشبة لبيت الحلاء المدام في حذمه ارجحور . لطلما يوقب عيشه وهو صبي ، شيئا كان اذنان بطل والحشرات تثر في الخارج من حرارة البطل على تلك الصورة التي يحلظ فيها اللون الاحمر نابور الاحمر والتي تمثل « نسخة بوابيه » .

هذه الصورة عذبت الي محله في تلك اللحظة وهو يصر الي تيريز وقد جف منها ادم وراى منها اللحم . شعر انه كان مجبورا حقا حينما قرر الا يبعد عنه ماى ثمن هذه المرأة الخطيرة كما يرمى في الماء بالمسيلة التي يحشى من انفجارها ما بين ثانية واخرى . تيريز سواها سلم هو يدك ام لم يسلم ستفضل تثير ذكرى الفاحشه . بل وما هو اسوأ من الفاحشه . ستظل تثير الفيل والمال في كل مكان ، فهي لا يد ان يكون ام محرمة آتمة واما ضحية مطلومه ملامح الدهشة على وحود الجصع وارتسمت فيها علامات الشبهة والاسى التي لا تهاجر فيها ولا خيف حتى ان ابن د يدرى اى حكم يصدره وشاع التردد في افكار

الامر في عايه السائلة . لقد حال سوء الفلمس بيني وبين الحروب من المنزل وبذلك فقدت شهية الطعام . لم يكن يحصل جوفى شيء من الطعام تقريبا . على كل حال الزحف خير من السمة . ولكن لتكلم علك است يا آن . انى سعيدة بك . . . تناولت يدى آن الواقعة امامها بين يديها جالسة واجلست تتعرس في وجهها . عرفت آن في ذلك الوجه الذى كساد الشحوب والاعضاء تلك العنشين اللين طلما حذقتا فيها من قيل في اصرار هثير . تذكرت انها كثيرا ما قالت لها وهى تترنو اليها طويلا بهاتين المعينين

هل لك ان تكلمى عن النظر الى هكذا ؟

الى ممرودة لهنالك يا صغيرتى آن .

وسمت على نفسها ايسامة قصيرة تحبب بها « سعادة آن » وخطبها ابن ديجليم براسه الاصلع الكبير وشواربه المنتفشة شوارب رجل الشرطة وكثفية الساقطين وسترته وساقبيه القصيرتين المنتشبين تحت مراويله المخططة بالرمادى والاسود .

عادت ترك عصبها على آن وعالت
« اخلنى قبضتك ... آه ... هكذا ... لقد عرفت انك الآن يا عروستى

مايجول في حفاط تيريز . قال ابن ديجليم ان الشتاء في الريف ليس له دائما الكثير

صحیح ... كلمينى عن ماری ...

عادت الشكوك وعاد التحذر الى قلب آن . انها مشد شهيرة

لأنكم تصرفانها . ولكن بغاضبها من ماری ونسائها لها ! .. هذا عيب لا يطيقه . ام لانهم يشئون طفلها ؟ قد يمكن احلاقى كافة المعاذير والمحبج ، ولكن امرا كهذا هو في نظرى الذناء نفسها . وات تيريز ما تحول بحاطر الشاة فغالبا بشخصها :

انها محتقرة لاني لم ابدأ بالكلام معها عن ماری . ولكن كيف

وعلى ... ماري ...

وحدث تمرير في برنار الشخص الذي عرفته في أيام التواسة ،
 ذلك الحليف الذي يريد ان يجرها من المارق ايا كان ذلك .
 في فترة ما ، نظرت اليه تمرير وهو جالس امامها بقلب جمرات
 المدفأة ، ولكنها لا ترى الصورة التي تراها عينها الكبيرتان مرتسمة
 وسط النهب . انها تلك الصورة الموبة بالاحمر والاحمر والمظلمة
 من جريدة البتي يارزبان : صورة سجيبة بواتيه .
 بهما امطرت السماء في ارجلوز لا تحجر ارضها الزمالية شيئا
 من بريد الماء . ويكفي في قلب الشتاء ان تشتري الشمس لمدة ساعة
 واحدة لكي يستطيع المرء ان يسير بحذاءه المادي على الطرقات
 العارية الجافة المتكوة بالصقيع من غير ان يخشى الليل . كان برنار
 يمارس الصيد طوال اليوم مع محافظته على الحضور في اوقات
 الطعام وكان يستفهم من تمرير عن صحتها وعن حالها ، ويبلل لها
 من المانية مالم يبدله لها من قبل . زالت الكلفة او كادت ، وزال
 أيام وعلى الا تدخن الا سيجارين مقل بمعدل وجبة . اقبلت تمرير
 بناء على نصيحة برنار على الاكثار من المشي فقد قال لها .

— ان الحركة والتمرير هما خير الوسائل لفتح الشهية .
 لم تعد تحشى شيئا في ارجلوز . اصبح يبدو لها ان اشجان
 للصنوبر تشتري من حولها وتمسح لها صفوها وتشير اليها ، ان
 اعطني واذهبي الى حيث تشائين . في احصى الامنيات قال
 لها برنار :

— اني اطلب منك ان تتطري الى ان يتم ذوايح ان اذ يجب ان
 في البينة التي تلت هذا الحديث لم تستطع التوم فقد ظلت
 عينها مفتوحتين يشد عليهما سرور يخالطه الفلق . سمعت في
 الصجر اصوات الديكة التي لاعداد لها والتي يبدو انها لا تنجاوب
 في صباحها : انها تصبح معا فملا الارض والسماء ضججا مواصلا
 ها هو برنار يستنوكها طلقه في الدنيا كما سبق له من قبل ان يطلق
 في البرية انشئ النورير الوحشي التي لم يستطع برويضها . بعد

أخيرا سيقول الناس ماشاء لهم القبول ما دام برنار
 به . لاطلاق ولا انفصال يسمى . سيحترمان
 لا تشمر بالتحسن في حالها الا في اسفر . سمدح و سمدح
 من كل

فمن تمرير في شيء من مشروحاته ، افهمها ان في
 الى الاحم اذا كانت في ذلك يوم
 من برنار في ذلك يوم
 من برنار في ذلك يوم
 من برنار في ذلك يوم

— ان تمرير لا تود الا وهي بين القضاة فاذا ماوت ادعا
 حال محاولة يجب علينا تجربتها .
 وهذا كان را

تعد
 من هذا مع الزمن . من المزمع
 من عقول القوم حتى اصبح من المصور اقتلاعها :
 من هذا في ذلك يوم

كانت تمرير تمسح هذا التجريد الذي يفرضه الشتاء المتسحب
 على الارض التي تسير فيها ، غير الرعم من الكسوة اذجه من
 الاوراق اذجه من الكسوة اذجه من الكسوة اذجه من
 ان الضمت في ارجلوز لا يوجد له . في اكثر الاوقات وعا سمع
 اذجه من الكسوة اذجه من الكسوة اذجه من الكسوة اذجه من
 ويصيح اذجه من الكسوة اذجه من الكسوة اذجه من الكسوة اذجه من
 في حيزه المشبه من حيزه لا يستطيع

التمقيد ؟ وما هو في تلك الساعة يلقي عليها سؤاله كما لو كان
إنساناً لا يرى الأمور على وضوحها ، إنساناً يتودد .. أما تيريز فلم
تكن بمثل هذه البساطة ، ولم تكن بمثل هذا التسامح الكريم ..
القت على هذا الرجل الجديد عليها نظرة مجاملة ، نظرة فيها ما
يشبه عطف الأم وحانها ، ثم ردت عليه في لبرة كلسخرية :

— ألسنت تعلم أنني فعلت ما فعلت من أجل ما تملكه من أشجار
الصنوبر . نعم لقد أردت أن أصبح وحدي المالك لأشجارك .
هل برنار كفتيه وقال :

— ألسنت اعتقد ذلك الآن وما اعتقدته قط من قبل . لماذا فعلت
ذلك ؟ ألا تستطيعين أن تذكرى لي السبب الآن ؟

نظرت إلى الفضاء : على هذا الرصيف وعلى حافة هذا النهر
الطامس من العليين والأجساد المتراحة ، في اللحظة التي توشك أن
تندفع فيها إلى هذا النهر وأن تندرد في فيه وأن تفوق راضية في
خضمه ، في تلك اللحظة برقت أمام عيني تيريز بارقة من الضوء ، لمع
فجر جديد : تصورت في مخيلتها العودة إلى البيت المليء بالأسرار
والأحزان تضيئ فيه حياة كاملة في التأمل والانصلاح وسط الصمت
الرهيب الذي يغطي أرجاءه : المغامرة الروحية الدقيقة ، البحث عن
مسبيل الله ... مر أمامها في تلك اللحظة رجل مراكشي ممن يبيعون
السمج والمقود الرجاجة فظن أنها تبسم له واقترب منهما ..
قالت تيريز وهي ما زالت تنظاهر بالسخرية :

— كنت على وشك أن أجيبك بأنني لا أدري لماذا فعلت ذلك .
أما الآن فعلى عرث السبب . تصور .. ربما كان هذا السبب
هو رغبتي في أن أدري في عيتوك شيئاً من الفلق ؟ من التطلع : من
الاضطراب ، كل هذه الأشياء التي اكتشفتها فيك منذ هذه اللحظة
فقط .

زمجر برنار في صوت أعاد إلى ذاكرتها رحلة العرس في أول
مهدهما بالزواج وقال :

— ستظل السخرية تلازمك حتى النهاية ... كوني جادة ...
لماذا فعلت ذلك ؟

ركعت تيريز من السخرية والضحك وقالت :

— أن رجلاً مثلك يا برنار يعرف دائماً جميع الأسباب التي
تصلح عنها أفعاله ، ليس كذلك ؟

— بالتأكيد ؟ بغير شك ... على الأقل يبدو لي أنني أعرفها ..

— أما أنا فكم كنت أود ألا يبقى شيء خافياً عنك . لو أنك علمت
مقدار العذاب الذي فرضته على نفسي من أجل أن أرى الأمور
واضحة ... ولكن الأسباب جميعها التي كان في استطاعتي أن
أقدمها لك — هل تفهم ؟ كانت ستبدو لي كاذبة ببسود أن أحاول
الإفصاح عنها ...

فدح برنار صيره وقال :

— على أي حال ، هناك مع ذلك يوم حزمت فيه أمرك ...
ونفذت فيه فعلتك ؟

— نعم ، يوم الحريق الكبير في مانو .

تبارب وأسامها ودار الحديث بينهما حمسا . في هذا المشرق
بين شوارع باريس ، تحت هذه الشمس الخفيفة ، وفي هذا التسيم
الذي يغلفه البرودة وتلوح فيه والحة الطيناق الوارد من وراء
البهار والذي يداعب الشجر الصفراء والحمراء ، وجدت تيريز ، أنه
لأمر عجيب أن تستعيد ذكرى ذلك اليوم الحار الشديد الليقة
وتلك السماء المختلفة بالدخان وذلك الأفق الملتهب وتلك الرائحة
النفذة المنبعثة كرائحة المشاعل والتي كانت ترسلها أشجار الصنوبر
المحترقة ، وإلى جانب ذلك كله قلبها الهاجع الذي تشكل في داخله
بطء الجريمة النكراء .

— أما كيف حدث ذلك فأهلك الشرح ... كنا في حجرة الطعام
وهي ممتة كالمتاد في ساعة الظهر ، وكنت أنت تتكلم ملتفتاً برأسك
لأحبة باليون وقد سوت من عدد القطرات التي كانت تتساقط في
كوبك .

لم تكن تيريز تنظر إلى برنار وهي تروي له ما تروي ، وإنما كان
هما كل منصرفاً إلى تذكر جميع الظروف وعدم إهمال شيء منها
هما دق . ولكنها سمعته بضحك فتوجهت بنظرة إلى وجهه :
نعم ... أنه يضحك ضحكته البلهاء وهو يقول :

— لا ، ما ظنك بي ؟ من تعتقدن أن أكون ...

أنه لا يصدقها . وهل يمكن أن يصدق كلامها هذا
أحد ؟ عاد بومير ، فعرفت فيه برنار التأكيد من نفسه والذي لا
يسمح لأحد بأن يدخل الفظة عليه . لقد استعاد طبعه ونقته
بنفسه ، فشعرت تيريز ثانية بالفصاح . قال لها باستهزاء :

— إذن . . . لقد جاءتك الفكرة هكذا ، دقعة واحدة ، باجاء من
الروح القدس ؟

شعر برنار باختقار شديد لنفسه ، إذ واجه تيريز بهذا الأسئلة .
إنه بذلك قد أضاع كل الفائدة من السخوية التي صعد على رأس
هذه المجتونة . وما هي الآن نمود قترفع رأسها . ما الذي دفع به
إلى الاستجابة لتلك الرغبة الجامحة في فهم ما حدث ؟ وهل هناك
شيء يمكن فهمه من هؤلاء المخبولين ؟ أنها غلطة افلتت منه . أنه لم
يعمل الفكر جيدا . . .

— اسمع يا برنار إن ما أذكرك لك من هذا الأمر لا أقصد به إلى
اقتناعك ببراءتي . كلا . . . ليس هذا بالمرة .

وفي شهوة عجيبة انطلقت تيريز تكبل نفسها بالانهايم . وكانت
هي تحكي من طريقة ارتكابها فعلها ، على هذا الوجه الارادي ، يبدو
كمن قضت الشهور الطويلة تركز في فؤادها وتفسد في قلبها
الاتكار الاجرامية القبيحة . ألم نعهد بعد أن قامت . . . العنوة الأولى
من الجريمة إلى أعمال الدهن الصافي في الاصرار على الاستمرار
وتنفيد ما تتولاه حتى النهاية .

— لم أكن أشعر بالقسوة إلا في اللحظات التي كانت لدى فيها
تسردد . كنت أنظم على نفسي بسبب اطالة الآلام . كان يجب أن
أذهب حتى النهاية وباقصى سرعة . لقد كنت استجب إلى واجبي
مفروض على فظيخ . نعم ، إن ما عملته كان شهيبي بالواجبي
المفروض . . .

قاطعها برنار قائلا :

— ما هذا اللغو والتخريف ؟ حاولي أن تقولي لي اختصار ماذا

كنت تريدني ؟ أنتي اتحدك أن تعولي . . .

— ماذا كنت أريد ؟ لأشك أنه من الأسر لي أن أحملك عمدا

لم أكن أريده . . . لم أكن أريد أن أمثل شخصيته غير شخصيتي ؟

ولا أن أتي بالحركات المفتعلة ، ولا أن انطق بالمسيخ المحفوظة ، ولا
أن أكرر في كل لحظة تيريز هذه التي . لا يا برنار ، تأكد أني لا أبغى
إلا أن أكون صادقة مصدقة . وأني لأعجب كيف يتبعث من كل
ما أقصد عليك الآن هذا الصدى ، صدى الكذب والتلقيق . . . !
خفضي صوتك . هذا الرجل الذي أمامنا يلتفت نحونا .

لم يعد برنار يتمنى إلا أن ينتهي هذا المشهد ويتخلص من هذا
الموقف . أنه يعرف جيدا هذه المروءة المرضية المجتونة . لو أنه
تركها لتستول في هراتها هذا لواجته إلى مالا نهاية تحلل وتدقق
وتصنع من الحبة قبة . كذلك كانت تيريز ، أن هذا الرجل الذي
اقترب منها لحظة قد عاد وابتعد عنها بعدا شديدا . ولكنها مع
ذلك أصرت على الكلام ، وحاولت أن تظفر أحلى ما عندها من
مسمعات ، وأن تستخدم في صوتها تلك التبرات الخفيفة الفليقة
التي طامأ أحب سمعها برنار . . . قالت :

— أما الآن ، يا برنار ، فاني أحس تماما أن تيريز هذه التي
تدفعها الفريزة إلى أطفال سيجارها خوفا من اشتعال الحريق في
الأحواش . . . تيريز التي كانت تهوى القيام بنفسها بصد أشجان
الصنوبر المملوكة لها وبحساب لمن عصاها ، تيريز التي كانت
في يوم من الأيام فطورة يرواجها من أحد كل ديوكورو حريصة على
الاحتفال بمزكها في قلب عائلة من أكرم عائلات الثلاث سبعة
يحمونها في آخر الأمر على الاستمرار والاسرة . . . تيريز هذه
ما زالت حمية كالأخرى وما زالت كالأخرى حبة تروق ، لا ، لا ،
ليس هناك من سبب للتضحية بها من أجل تلك الأخرى . . .

— أية أخرى ؟ . . .

لم تدر تيريز بماذا تجيب . نظر برنار في سامعته بينما تيريز
تقول :

— يجب على مع ذلك أن أحضر من وقت لآخر إلى البلدة . . .
من أجل مصالح . . . ومن أجل ماري . . .

— أنة مصالح ؟ أنا الذي أدير جميع الأموال المشتركة
بيننا . إن تقصد قائم الاتفاق عليه ، ليس كذلك ؟ سيكون الخ
مكافئ في جميع المتناسبات الواسمة ، من أجل خريف الأبرار . . .

لجل مصلحة ماري ، ان تكوني الى جاتبي لكي يرانا الناس معا .
ان عائلة كبيرة كعائلتنا لتخلو ، وله الحمد ، من حفلات الزواج
ولا من الجنائز ايضا . بل اني اتوقع شيئا من هذا قريباً ، إذ
يذهبيني أن يظل العم مارتان على قيد الحياة حتى الخريف القادم .
ستكون هذه فرصة لك على ما يبدو .»

جندى المرور على ظهر جواده يقترب بصغاره في شفتيه
فتفتلج أبواب خفية ويتساقب سيل من المشاهد متمجلين بحرفون
نهر الشوارع الاسود قبل أن تطفئ عليه موجات السيارات الملاحقة .
قالت تيريز في نفسها :

« كان يجدر بي ان ارحل في احدى الليالي الى قاحية يراري
الجنوب ، كما فعل داجير من قبل . كان يجب علي ان اطلق وسط
اشجار الصنوبر الهزيلة في تلك الاراضي الخبيثة ، واسير حتى
يدركني الاعياء والفتاء . فما كنت لأجد في قلبي الشجاعة على
الاحتفاظ براسي غائلسا تحت مياه أحد المستنقعات كما فعل ذلك
الرامي في ارجلوز في العام الماضي لان زوجة ابنته لم تكن تعطيه
مايهسك رفته من الطعام . لا ، ولكني كنت أستطيع ان اتقى
بجسمي وسط الرمال وأن اطلق ميتي . . . حقيقة هناك الغريبان
وهناك جيوش التمل التي لاتتمهل والتي لاترحم .»

نظرت الى ذلك البحر الخضم من الادميين يتدافع امامها
تلك الكتلة البشرية الحية التي سوف تنفجر بعد حين لتلقفه
جسدها وتخرج به بين طياتها ثم تمضي به الى الجحول . لم يعد
هناك شيء يهتمها يمكن أن يفعل أو يقال . . . أخرج برنار سامته
مرة أخرى وقال :

« الحادية عشرة الا ربما : مجرد الوقت الكافي للمرود على
الفندق . . .»

« لن تشعر بالحر الشديد في اثناء سفرك .
« بل ربما احتجت لأن أقدر هذا المساء في السيارة .
وانت تيريز في مخيلتها الطريق الذي ستدور فيه مبارته
بشعرت بالنسيم البارد الذي سيقطى وجهه . تسميم محتمل

بالروائح المتبعثة من المستنقعات ومن عصارات جذوع الاشجار
ومن العتاشن المحترقة ومن نبات اللصاع المنتشر ومن الضباب
المعلق بالإعصان . نظرت الى برنار وايسمت له تلك الابتسامة
التي طالما قالت عنها سيدات اللاند في الماضي :

« لا يستطيع أحد أن يقول انها جميلة ولكنها السحر نفسه »
لو أن برنار قال لها في تلك اللحظة :

« آلي اغفر لك . . تعالى . .»

فنهضت لتوها وتبعته راشية . ولكن برنار وقد احسن اللحظة
بالفريق مما انتابه من تأثر وضعف ، لم يعد يشعر الآن الا ببشاعة
المواقف التي لم يتعود مثلها وبسيف الكلمات التي تختلف عن تلك
التي دوج على تبادلها كل يوم . لقد كان برنار امير ماداند كسا
كانت عرباته « على قدر الطريق » الذي تدرج فيه . لقد كان مثل
هذه العربات في حاجة الى الحفر والاخاديد التي كونها الزمن .
وحينما يعود الى تلك الحفر والاخاديد ، في هذا المساء نفسه ،
في حجرة الطعام في مسانت كير ، سيستعيد هدوه ويتلوق من
جديد الراحة والسلام .

« اريد للمرة الاخيرة ان اطالب منك الصبح والغفران يا برنار .
اوسلت هذه الكلمات في نبرة جادة وان خلت من الامر . انه
جهد آخر تبذله على أمل أن تستعيد به الحديث . ولكنه رن
عليها محتجا :

« لتكف عن الكلام في هذا الموضوع . .»

« ستحس بنفسك وحيدا . مستشعر بمكانى الى جوارك
على الرغم من بعدى عنك . ربما كان من الخير لك لو أن الموت
أخفى .»

هو كتفيه قليلا وفي صوت به المرح المتكلف قال :

« أرجوك ، لاشغلي بالك يا مري . .»

وبعد برهة قصيرة قال :

« لقد كان في كل جيل من اجيال آل ديكويرو وجعل قضى
نحياته عزيا . وكان متفيا على أن أكون أنا رجل هذا الجيل . لقد
توفرت لي جميع الصفات اللازمة لذلك ، وهذا أمر لا يمكنه ان

والذات . ان ما يؤسفني فقط هو اننا أنجبنا طفلة مما بعدد الاسم
بالروال . حفيظة لو اننا ظللنا معها ولما رغبتنا في الحصول على أطفال
آخرين اذن سواء أهلاً أم ذاك قال امر كله على
مايرام لا تتحركي ابقى في مكانك .
أشار الى إحدى سيارات الاجرة وعاد الى تيريز يخبرها ان
ماتناولاه من مشروب قد دفع ثمنه .

نظرت تيريز طويلاً الى فطره شراب البورنو الباقية في قاع
الكاس التي شربها برنار ، لم عادت تشرح بنظرها بين المارين . ان
منهم من يبدو وكأنه ينتظر ، لم يروح ويحى على غير هدى . هذه
امرأة تملك مرتين وتبسم لتيريز ، لعلها إحدى العاملات ، او
لعلها متخفية في ثياب العاملات ، هذه هي الساعات التي تلفظ فيها
جميع مشاغل الخياطات كل من فيها الى عرض الطريق . لم تفكر
تيريز في ترك مكانها هذا ، وقررت الا تذهب في هذا اليوم الى رؤية
جان اريفيديو . تلقت الصعداء : لقد نجت ، لم تعد تريد رؤيته .
ما اسام طول الحديث والبحث المستمر من الصيغ والمبارات ا
انها تعرف الكثير من جان اريفيديو ، ولكن الأشخاص الذين تمنى
اقترب منهم لانعرف منهم شيئاً لا تعرف منهم الا انهم ان
يكلفوها سماء الاحاديث الطويلة . لم تعد تيريز تخشى الوحدة
والافتراق . يكفيها ان تظل هكذا بلا حركة . انها تحس ان جسدها
الذي ربما اجتذب اليه هناك وهو ممد في براري الجنوب جفاقل
التمل وقطعان الكلاب الضارية يجمع حوله في هذه اللحظة اخلاطاً
مبهمة من الناس وحركة لانها من البشر . أحسبت بالجوع فنهضت
من معندما . نظرت في مرآة مئوي أولد أنجلند الى صورتها قرأت
لنفسها امرأة شابة مرتدية ثياب السفر اللامعة بجسمها مقسية
عليها هنداماً جميلاً رائعاً . تذكرت ايامها الماضية في ارجلوز وقت
ان كان وجهها ياذي الارهاق وقد يبرز فيه صدغاهما الشاحبان
وانفها الصغير . قالت لنفسها :

لا تبتدأ على السن واضحة .

تناولت طعام القداء في شوارع رويال الذي ظلما داعب أحلامها
في الماضي . ثم تساءلت :

- ١٢٦ -

ما الداعي الى العودة الى الفندق مادمت لا أمل الى ذلك ؟
أحسبت بمرور حار ينتشر في أنحاء جسمها بعد ان شربت نصف
تلك الوجاجة من النبيذ ، طلبت شيئاً من السجائر . تقدم اليها
شاب يجلس الى المنضدة المجاورة يولاعته مشتملة فارتسمت .
تذكرت في هذه اللحظة الطريق المؤدى الى فيلاندر في المساء بين
أشجار الصنوبر الكثيفة ، وعجبت كيف أنها من ساحة تمتد ان
تعود اليه تقوده الى جانب برنار . . . هل هي تهوى هذا البلد
أم ذاك ؟ هل هي تحب أشجار الصنوبر أم أشجار الزينة المصطفة
في شوارع باريس ؟ هل هي تعشق المحيط الصاخب أم السهل
الهاديء الوديع ؟ لا يهمها من كل ما هو حي يعيش غير الكائنات التي
تخلقت من لحم ودم قالت لنفسها :

- ليست المدينة بأجملها ومبانيها هي الشيء الذي أحبه
وأهواه . لا ولا المحاضرات والمتاحف وما تعويه المدينة من متحف
وجمال ، وأما هو تلك القاية البهية التي تضطرب بين جدرانها
والتي تمرقها الشموات في قوة ووحشية لم تر لهما مثيل في اعش
الزواجع وأشد الأعاصير . . . ان الآلات التي كنت اسمعها في الليل
قادمة من أشجار الصنوبر في ارجلوز لم تكن لتسمي مشاعري الا
لان شيئاً آدمياً كان يعمل منها الى قلبي .
كانت تيريز قد شربت قليلاً ودخلت كثيراً . كانت لمحرك
لنفسها كما لو كانت سعيدة . أعادت طلاء خديها وشفتيها عناية
فائقة ، وبعد ان تحدرت الى الطريق ، سارت فيه على غير هدى .

تمت

Looloo

www.dvd4arab.com